مكانة أساليب اللقاء بين الأطفال
في تنمية التذوق العلمي والأدبي والفني

بقلم: سمر روحي الفيصل

بادىء ذي بدء، اسمحوا لي بايراد أمرين قد يكون فيهما طرافة وألم، ولكن شيئا من الطرافة والالم لا يدخل في الغرض الذي أسعى الى تحقيقه:

تعالوا نغادر هذه القاعة الى الحي القريب لنرى ماذا يوجد فيه. سنلاحظ - دون شك - بناء شاهقا يجاوره بناء منخفض، أو نرى بناء حديثا الى جانبه بناء قديم متداع. نرى بناء مطليا بلون أزرق الى جانبه بناء مطلي بلون أخضر او أصفر، بل يمكننا رؤية البناء الواحد وقد طلي بمجموعة من الوان. في الحي نفسه يمكن أن نرى القاذورات ومخلفات الابنية وبقايا الصحف ولفافات التبغ، وقد تساعدنا المصادفات فنجد بعض سلال المهملات فارغة أو ذهب جزؤها السفلي. واذا كان حظنا طيبا أكثر وجدنا عمودا يتوسط ساحة صغيرة وقد علقت عليه مجموعة متباينة من اللوحات، تشير واحدة منها الى اسم طبيب، واخرى الى اسم مهندس أو دكان صغيرة. بعض هذه اللوحات ذو طموح واضح ولذلك ارتفع الى أعلى العمود، وبعضها الآخر ضعف طموحه فنزل الى أسفل العمود حتى كاد يلامس الارض. هذا، الى اننا نجد لوحة كبيرة وأخرى صغيرة، ملونة أو غير ملونة.

تعالوا - ايضا - نتذكر رحلة مدرسية قمنا بها الى مكان ما. تعالوا نتذكر أن أحدا لم يسألنا عن المكان الذي نرغب في الذهاب اليه. كان أساتيذ المدرسة يحسمون هذا الامر بينهم: يختارون المكان والزمان، ثم يحددون لنا رسم الاشتراك في هذه الرحلة. قد يدخل في اختيارهم مكان لم يذهبوا اليه من قبل، او لم تقم المدرسة برحلة اليه. غير أن ما يدخل في اختيارهم - حتما - قضية الترفيه عنهم، أو عن التلاميذ حسب تصريحاتهم. هذا غير مهم الآن، بل المهم أن قضية الترفيه موجودة في ادراك المدرسين والتلاميذ على حد سواء. ولا يوجد لدينا ما يمنع من تحقيق هذه الخبرة الجديدة، لانها قيمة هامة من مجموعة القيم الترويحية(1)، نحرص عليها بالمقدار الذي نحرص فيه على القيم المعرفية، الثقافية، او قيم تكامل الشخصية، أو غيرها من مجموعات القيم.

في اعتقادي أننا نستطيع استنباط الامور التالية من المثالين السابقين:

1 - ان التآلف - أو التوافق - غير موجودة بين أبنية الحي. فاللون الاصفر لا يتوافق مع اللون

الاحمر ، والبناء الحديث لا يتوافق مع القديم او المتداعي ، والطول لا يأتلف مع القصر . والشيء نفسه وارد في لوحات العمود وفي القاذورات ومخلفات الابنية. ونحن – في العادة – نقول ان هذا الحي غير جميل ، فهل يعني كلامنا أن التوافق شرط جمالي ، وأن انسجام الابنية وألوانها ولوحات العمود ، وانتماءها الى فصيلة مشتركة في المظهر أو الجوهر ، هو الذي يجعلنا نقر بوجود الجمال اذا ما رغبنا في تحليل التوافق ؟.

٢ – ان المساحة التي شغلتها لوحات العمود تؤثر في التوافق السابق . فهي مساحة صغيرة شغلتها أشياء كثيرة ذات ألوان متعددة . ولو غيرنا حجوم اللوحات والالوان لتوافقت مع المساحة التي تجاورها هل يعني هذا الكلام أنها أصبحت جميلة ؟ هل يعني ذلك أن الجمال نابع من أن كل شيء يضفي شيئا على ما يجاوره او ان كل جزء مرتبط بالجزء الآخر ، بحيث أن الخلل في واحد يؤثر في النظام الكلي للشيء المرئي فيجعله نابيا(٢) ؟.

٣ – ان ساكني الحي على أقل تقدير يرون التنافر وعدم الانسجام والتجاور يوميا مرات كثيرة . بمعنى أن رؤيتهم البصرية المستمرة تقع على أشياء غير جميلة ، وبالتالي تتأثر الاحاسيس الجمالية التي ولدوا عليها ، ويأخذ نموها ينحرف عن الاتجاه السليم ونحن لا نعلم ما في الغيب ، ولكننا نرى ملابس سكان الحي وعاداتهم ونلاحظ تباينها أو توافقها ، اي اننا نلاحظ جمالها أو تنافرها . فهل يعني ذلك ان الرؤية البصرية المستمرة تؤثر في الاحاسيس الجمالية سلبا وايجابا ، بحيث ينعكس هذا التأثير على ما يختاره الانسان من ملابس أو ما يتبعه من عادات تدخل في باب المدنية والحضارة ؟.

٤ – ان أحدا لم يسأل التلاميذ عن المكان الذي يرغبون في الذهاب اليه . فهل يعني ذلك اننا لو سألناهم عن المكان ، وحققنا لهم ما يريدون ، لكننا ننطلق من حاجاتهم الخاصة او من الاشياء التي تشد انتباههم ؟ وهل يعني ذلك ايضا ان المتعة ستكون أكبر لو ذهب التلاميذ الى مكان يرغبون فيه ، وان العكس صحيح ، بحيث تنخفض نسبة متعتهم اذا ذهبوا الى مكان لا يؤمنون أنه يوفر لهم ما يريدون؟. هل يعني ذلك اخيرا ان جمال الخبرة الجديدة نابع من تلبية حاجة التلاميذ ؟.

أريد ان أقول أن التذوق أمر مكتسب للبيئة دور واضح فيه سلبا وايجابا . ولو سألنا انفسنا عن الاشياء التي رأيناها في الحي لوجدنا أن كل انسان قد استخدم تذوقه أو احاسيسه الجمالية الخاصة ، حين اختار لون منزله او ملابسه ، او حين علق اللوحة على العمود ، دون ان توافق أحاسيس الناس كلهم وتنسجم في كل واحد تتجاوز فيه الاشياء وتعيش في وئام . ذلك ان الانسان مهما تكن أوضاعه « المدنية او البدائية يتمتع بقدرة الاحساس باللذة الجمالية ، وعلى ابداء هذا الاحساس والتعبير عنه في صورة أحكام ذوقية »(٣) . لا أريد ان أبالغ كثيرا ولكن الانسان مضطر لممارسة تذوقه في أمور الحياة اليومية . وبعضنا على الاقل لا يشتري قميصا من السوق ما لم يصحب معه انسانا آخر يساعده في عملية الانتقاء ، مما يعني ان الشاري لا يثق بتذوقه الخاص وبمقدرته على تحقيق التوافق والانسجام ، ويرى أن الانسان الذي اصطحبه معه يحمل هذه الصفات . ويمكن أن نعمم قليلا فنذكر ضعفنا في تلمس مواطن الجمال في لوحة فنية أو في قصيدة اوفي قطعة نثرية او موسيقية . ونستطيع ايضا وضع اليد على الفوارق الموجودة بين الناس في عملية التذوق . بل يمكننا القول ان تدني نسبة التذوق عند الانسان يمنعه من رؤية الجمال في الامور المحيطة به ، ولهذا ذهب الناقد الانكليزي « وورد زورت » الى أن مهمة الناقد هي ازالة القناع عن الاشياء المألوفة.

اذا كان التذوق عملية مكتسبة ، وكان له هذا التأثير في حياتنا اليومية ، وكان يتعرض لانحرافات في بيئة مثل بيئتنا ، فان الالتفات الى الطفل يعد أمرا بدهيا ، لان مرحلته العمرية تعين على عملية الاكتساب ، ولا البيئة لم تؤثر فيه تأثيرا كبيرا بعد ، ولان تذوقه لم يدخل بعد مجال التأثير والممارسة في حياته اليومية . لهذه الاسباب مجتمعة نأمل أن تحتل اساليب اللقاء مكانة مرموقة في تنمية التذوق عند الطفل ، على ألا تغفل عن أنها ليست المؤثر الوحيد في الطفل ، وعن أنها عملية تربية وجدانية تخضع لعوامل التخطيط والتوجيه وليس للمصادفة.

أحاول القول ان عملية تنمية التذوق عن طريق أساليب اللقاء تقع على عاتق المشرف بالدرجة الاولى.

بالطبع لا أقصد أن يكون المشرف عالما وأديبا وفنانا حتى يكون قادرا على تنمية التذوق العلمي والادبي والفني عند الطفل ، بل أقصد بالضبط وعيه بطرائق تنمية التذوق كي يستطيع الاتفاق على حيثيات العمل وأسلوبه مع رجل العلم أو الادب أو الفن الذي يستقدمه ليلتقي الاطفال . لان معرفة الغاية وحدها لا تكفي ، بل لا بد من الطرائق التربوية التي تكفل تحقيق هذه الغاية ، ولان رجل العلم او الادب او الفن قد يكون عالما أو أديبا أو فنانا ولكن معرفته بهذه الطرائق ليست شرطا لازبا . بتعبير آخر ، فان توضيح ماهية العمل الكبير الذي يلتقي الاطفال ، وتهيئة الاطفال أنفسهم ليلتقوا الكبير ، او ليلتقوا انفسهم ، مهمة تقع على عاتق المشرف مهما يكن الشكل الذي اتخذه اسلوب اللقاء . والا فان اللقاء سيكون عشوائيا كتلك الرحلة المدرسية التي قمنا بها . فهي – على اية حال – اسلوب من أساليب اللقاء بين الاطفال انفسهم ، وبينهم وبين الكبار في الوقت ذاته ، ولكنها أسلوب لم يجر التخطيط له ، وبالتالي ضاعت فرص ذهبية يستطيع الكبير فيها أن ينمي تذوق التلاميذ بشكل غير مباشر بعيد عن القيود المدرسية النظامية ، كما يستطيع التلاميذ انفسهم ممارسة تذوقهم بحرية أكبر من تلك التي تتيحها حصة العلوم أو الادب أو الفن في المنهاج المدرسي .

أقترح على المشرف الالتفات الى الامور التالية :

١ – المعايشة والرؤية :

اذا رغب المشرف في تنمية التذوق الفني فلا بد له من افساح المجال أمام الاطفال لمعايشة الآثار الفنية والعلمية ورؤيتها باستمرار . لان المعايشة والرؤية المستمرة تقيمان صلة ما بين الذات المدركة (الطفل) والموضوع المدرك (اللوحة أو التمثال أو الطبيعة ... الخ) . والامر نفسه ينطبق على التذوق العلمي والادبي ومسوغ اقتراح هذه النقطة هو ان التذوق قدرة ذاتية لدى الفرد يستجيب بها للجمال ويحس به في اية صورة من صوره . وليس هناك شك في ان الاستجابة للمؤثرات الجمالية تتطلب وجود موضوع قادر على اثارة الحس الجمالي . ولا نريد – هنا – الخوض في المناقشة الخصبة حول معايير الحكم الجمالي على الموضوع المدرك ، فنحن عاجزون عن ذلك ، ولكننا مؤمنون بأن اعادة التذوق الى أحاسيس الطفل وانفعاله وقدراته التخيلية ، والى مقدرة الموضوع الجميل على اثارة هذه الاحاسيس والانفعالات ، لا تكفي وحدها في تفسير عملية الذوق ، لان الاحاسيس الفردية يصعب قياسها ، كما انها أمور نسبية تختلف من شخص الى آخر ، بل تختلف في الشخص نفسه من حين لآخر(٤) . صحيح ان أصحاب وجهة النظر المثالية يقولون بهذه العوامل الذاتية ، ولكنهم يتجاهلون أساس الجمال في الوجود الخارجي . والمتفق عليه تقريبا أن التذوق عملية واسعة متشعبة تتفاعل فيها مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية . وليس هناك أدنى شك في أن المعايشة والرؤية المستمرة عامل من عوامل تنمية التذوق ، لان مداومة رؤية الاشياء تؤدي الى اعطاء الذهن فرصا أكبر في التصور والتخيل ، تتألف منها حساسية معينة تصبح فيما بعد مقدرة على استحداث اللذة بالرؤية أو استطابة هذ ادون ذاك(٥) . ولكن هذا وحده غير كاف .

٢ – العلاقة العضوية :

اذا رغب المشرف في تنمية تذوق الطفل في أي أمر علمي أو ادبي أو فني ، فلا بد له من لفت الانتباه بشكل دائم الى أن الاثر الجميل كل واحد لا ينفصل جزء منه عن آخر . تعالوا نتذكر للمرة الخمسين الحي الذي زرناه بخيالنا ، ونسترجع أن الجزئيات الموجودة فيه لم تتضمن التوافق والانسجام والتجاور . وفي المقابل فان القصة الجميلة لا تصنعها لفظة أو جملة أو استعارة مكنية ، وليس اللون وحده الذي جعل اللوحة جميلة . ان موضوع القصة وأسلوبها وتعبيرها الصادق عن حاجة انسانية ، وتوافق أجزائها وتجاورها ووئامها ، جعل من القصة قطعة نثرية جميلة . كذلك الامر في اللوحة ، فاللون والخط والمساحة لا يصنع واحد منهم لوحة جميلة ، بل لا بد من وجود التكوين والايقاع والاتزان . « معنى هذا أن القطعة الفنية حينما تتكامل تجمع بين عوامل مختلفة في الوقت الواحد ، وتؤلف بين هذه العوامل في وحدة متميزة لها طابعها الفريد الجديد . ان التكامل هو الاصل في الخبرة الفنية ، وهو لا يتم عن طريق تأكيد ناحية على حساب اهمال أو اضعاف بقية النواحي »(٦) .

٣ – فهم حاجات الطفل والاحساس بها :

في الرحلة التي قمنا بها من مدينة الى أخرى لم نسأل التلاميذ عن المكان الذي يرغبون في الذهاب

اليه . قد لا يلفت انتباههم المستوى الحضاري للمدينة التي ذهبوا اليها ، بل يرغبون في أرض فضاء واسعة يلعبون ويهزجون فيها دون قيد او شرط ، دون ان يحملوا معهم صورة التلاميذ المهذبين جدا . ان علم نفس الطفل يخدم المشرف هنا خدمات جلى ، وبالتالي لابد لمن يتعامل مع الطفل من أن يفهمه أولا . لا بد من أن يلتفت الى أن حاجات الطفل تتغير بحسب سنه ونموه . كما أنه لا بد من مراعاة الفروق الفردية ، فطفلان في سن العاشرة قد يشبان مختلفين ولذلك تختلف حاجاتهما (٧) . ثم انه لا يكفي المشرف أن يفهم حاجات الطفل ، بل لا بد له من الاحساس بها . فاذا كان أحدنا قد فقد القدرة على الاستمتاع بخرير الماء وحفيف الاوراق وهديل الحمام ، فلا بد له – وقد أحس بهذا النقص – من أن يستدركه عند طفله . فالطفل يحتاج الى الاستمتاع بخرير الماء ، يحتاج الى الطبيعة لانها جميلة تعين على تنمية الاحاسيس الجمالية يحتاج الى اعمال أذنه وعينه لان هاتين الحاستين ترتبطان ارتباطا وثيقا بادراك الجمال (٨) .

واذا لم يحس المشرف احساسا حقيقيا بهذه الحاجة فانه غير قادر على فهم حاجات الطفل فهما دقيقا . لنتخيل اننا لا نعرف « ماذا تعني الصداقة التي تقوم على أسس متكافئة . ولنتخيل اننا في يوم ما اكتشفنا روابط معينة تقوى بيننا وبين شخص آخر لم نكن قد شعرنا بها من قبل . واكتشفنا ايضا اننا نشترك في الميول نفسها ، واننا نستطيع ان نعمل معا ونقوم بأشياء كثيرة ونحن متعاونون اكثر مما نقوم بها منفردين . ان هذه الاكتشافات أساسية لانها لاتؤثر في حياتنا فقط بل في حياة الآخرين ايضا » (٩) . عندئذ يمكننا الاحساس بحاجة الطفل الى الصداقة والمباشرة بتنميتها عنده . وقد آثرنا هذا المثل المادي البعيد عن قضايا التذوق بغية توضيح اهمية احساس المشرف بحاجات الطفل وليس فهمها وحسب .

٤ – التعبير :

ينبغي على المشرف الالتفات الى أن تنمية التذوق لا تكتمل دون قيام الطفل بالتعبير عما تذوقه . ومسوغ طرح هذه النقطة اننا نتوقع بنتيجة هذه الممارسة تعديلا في السلوك الجمالي لدى الطفل ، ونقصد بذلك الطابع التذوقي الذي يميز السلوك حينما يكون مهذبا . ويستطيع المرء ملاحظة تعديل السلوك في العادات والاتجاهات التي اكتسبها الطفل ، وفي غيرها مما تخلص منه وأصبح يألفه . « ان الفن في مجموعه ممارسة تدريبية تمكن الانسان من ادراك العلاقات الجمالية في صورة أو تمثال او معزوفة موسيقية او نظم شعري أو نثري ، بحيث يمكننا ادراك هذه العلاقات في سلوك الحياة اليومية : في الطعام والشراب وفي الملبس والمأوى ، وفي عمليات الشراء والبيع ، وفي تنظيم المدن والحدائق » (١٠) . ان التذوق من حيث هو عملية تربوية يعني تدريب الطفل على أن يستحسن ويستقبح ، يفضل ويرفض ، ويكون لديه معيار لتقويم سلوك الآخرين (١١) . ولا يستطيع الطفل القيام بذلك ما لم ندربه على ممارسة التذوق ، أو على التعبير عن الاشياء التي تذوقها (١٢) . واذا تركنا السلوك جانبا لننتقل الى نقطة تربوية أخرى ، فاننا نجد ان ممارسة التعبير عن التذوق تدفع الطفل الى الاندماج في الموضوع الذي يريد تذوقه ، وهذا الاندماج يتضمن المعرفة . لهذا السبب يرتبط التذوق بالاشياء التي يتعلمها الطفل . لان هذه الاشياء تنمي قدرته على التعبير السليم عن تذوقه ، وتمكنه بالتدريج من اكتساب مهارة التعبير عن الاشياء التي يحس بها (١٣) .

نقطة ثالثة نقف عندها حين نتذكر ان التعبير الذاتي الابتكاري عملية تربوية ، لان المعبر يعكس من خلاله شخصيته وطابعه ، ويحصل على متعة حقيقية حين ينجح في هذا التعبير .

٥ – التحديد :

لا يكفي ان يعبر الطفل عن تذوقه ، بل لا بد من ان يكون تعبيره ذا أحكام دقيقة . بمعنى ان يبعده المشرف عن العبارات العامة ، والجمل الشائعة المشتركة التي يعوزها التحديد ، من نحو التالي : هذه قصة جميلة ، أو لوحة فنية رائعة ! أو اعجبت بكلام الكاتب واسلوبه . ان تدريب الطفل على التعبير الدقيق المحدد عملية تربوية تعود على عقل الطفل بالفائدة كما لا يخفى على أحد .

وبعد ، فالامور الخمسة المقترحة لم تنف أن كل طفل مزود بنصيب من التذوق ، نصيب ندعوه في العرف الشائع : ملكة التذوق أو الذوق (١٤) أو الحس الجمالي . ان لدى الطفل شيئا من هذه الملكة يهتدي به في تقويم العمل الفني أو الادبي او العلمي . وقد تتعرض هذه الملكة لانحرافات كثيرة او تنمو عشوائيا ، ولكن من الاهمية بمكان تنميتها تنمية سليمة خارج

المدرسة او داخلها ، بوساطة اساليب اللقاء أوبوساطة المنهاج المدرسي . غير أن الامور الخمسة لم تتطرق الى ثلاثة امور هامة :

الامر الاول :

اننا نتحدث عن تنمية التذوق بوساطة أساليب اللقاء ، ونعني بذلك تنمية تذوق مجموعة من الاطفال . وقد التفتت الامور الخمسة الى الطفل الفرد ، ورأت أن التذوق عملية ذاتية فردية ، وأن التعبير عنها كذلك . فكيف نستطيع تنمية تذوق جماعة من الاطفال ما دامت عملية التذوق ذاتية فردية ، وما دمنا عاجزين عن أن نخصص لكل طفل كبيرا يلتقي به لينمي تذوقه . يقول طه حسين في الاجابة عن شيء شبيه بهذا الذي نتحدث عنه : « الذوق الذي يمكن الجمهور من أن يعجب بأثر فني أو يسخط عليه ، يجب ان يكون مشتركا بين الناس ليدفع أيديهم الى التصفيق ان اعجبوا وأفواههم الى الصفير ان سخطوا . وهو مشترك بالفعل ، ولكن الغريب من أمره انك مهما تلاحظ من اجتماع الناس على الاعجاب بأثر فني او السخط عليه فلن توفق اذا طلبت الى كل واحد منهم أن يرد اعجابه أو سخطه الى تعليل يشتركون فيه . هم يعجبون معا ويسخطون معا ، وكأنهم يعجبون او يسخطون لسبب يشعرون به جميعا »(١٥) .

هذه هي المشكلة الرئيسة . فنحن لا نريد السبب الذي يدفع مجموعة من الاطفال الى السخط او الاعجاب بل نريد من كل طفل أن يتذوق ثم يعلل تذوقه . لا نريد التصفيق الجماعي أو الصفير النابع من السخط على حد تعبير طه حسين ، بل نريد العمل بهدوء على تنمية تذوق كل طفل لدينا ، حتى اذا قطعنا في ذلك شوطا كنا نقترب في الوقت نفسه من عملية التذوق الجماعي .

ولا أرى حلا لهذه المشكلة غير التقليل من عدد الاطفال الذين يلتقون كبيرا . لان العدد المحدود يسمح للكبير بالالتفات الى كل طفل على حده ، كما يسمح للطفل بالتعبير عن رأيه وحكمه في الاشياء التي تجري المناقشة فيها .

الامر الثاني :

لقد تحدثنا عن التذوق دون الاشارة الى الفوارق الموجودة بين الادب والفن والعلم . صحيح ان الفن هو كل تعبير عن معنى من معاني الحياة بأسلوب جميل صادق ، سواء أكان هذا الاسلوب ملفوظا أم مكتوبا او مسموعا أم مرئيا أم عملا من الاعمال . وقد يطلق الادب ايضا « اطلاقا عاما على جميع ما صنف في أية لغة من الابحاث العلمية والشؤون الثقافية . فهو بهذا المعنى كل ما أنتجته عقول العلماء ، وأبدعته قرائح الكتاب والخطباء والشعراء والحكماء . وهذا المفهوم للادب هو الذي كان سائدا في المؤلفات العربية القديمة حيث كان الادب هو الاخذ من كل علم بطرف »(١٦) . هذا كله صحيح ، ولكنه لا يمنع من أن هناك فارقا واضحا بين جزئيات كل واحد من الامور الثلاثة ، ينبغي الا يغفل المشرف عنه كي يصح التذوق والاحكام الناتجة عنه في الشيء الجميل ذاته (١٧) . وهذا الشيء الجميل يخرج المعلم من الموقف الحدسي لانه يعتمد على الاستدلال والبرهنة والبحث العقلي(١٨) ، ولكنه لا يخرجه من عملية التذوق كليا . وفي تنمية التذوق الادبي لا لزوم لاستخدام المصطلحات البلاغية لانها بعيدة عن افهام الاطفال ، بل يمكن الالتفات الى بلاغة التعبير عن طريق الكلمات وأثرها في جلاء الفكرة او تقوية المعنى ، أو في توفيرها اية ناحية من نواحي الجمال اللفظي او المعنوي . والمعروف أن الجمال في النص الادبي غير مقصور على هذه الامور ، بل أن هناك أشياء اخرى كثيرة من نحو تصرف الاديب في اختيار الفاظه ، او ايثاره التعبير بالنكرة في موطن وبالمعرفة في موطن آخر او استخدام أداة عوضا عن اخرى ، او تقديم كلمة على كلمة ، وما الى ذلك . وفي الرسم هناك التكوين والتجديد والتحريف والتكرار والخط واللون والمنظور وما الى ذلك مما يعلمه الكبير المختص الذي يلتقي الاطفال .

الامر الثالث :

تعالوا نسترجع للمرة الاخيرة الحي الذي زرناه بخيالنا . أنتم تذكرون دون شك انه حي غير جميل . ومن المتوقع ان تؤثر رؤيته المستمرة في أذواق سكانه . ولكن ، أليس وجوده ضروريا ؟ اعتقد أنه لا بد من الشيء غير الجميل حتى يتضح جمال الجميل . بمعنى ان المشرف ينبغي ان يلتفت الى أن الحس الجمالي مزدوج الاتجاه ، بحيث لا يستطيع اكتشاف مواقع الجمال الا اذا تلمس غير الجمال . وانا موقن باننا لو ذهبنا الآن الى بستان لاحسسنا بجماله اكثر بكثير جدا مما يحس به البستاني الذي يعيش فيه ، بل

انني أتوقع ان ينفر الانسان الذي يعيش في وسط جميل لانه لا يجد مجالا للمقارنة بين مكانه الجميل ومكان آخر قبيح او دونه في الجمال . وهناك من يقول ان العين ترى بشكل طبيعي عادي الامور الجميلة وغير الجميلة ، ومن واجبنا اذا أردنا تنمية التذوق الالتفات الى جعل الحس الجمالي طبيعيا مثل العين ، ما دامت هذه الاداة وسيلته الهامة(١٩) . ليس المقصود هنا ترك الطفل يعايش الاشياء الجميلة وغير الجميلة على حد سواء ، بل المقصود ان جمال النص الادبي يتضح حين نقارنه بنص آخر غير جميل ، وان جمال لوحة فنية يبدو اوضح حين نقارنها بلوحة اخرى لا تصل في جمالها اليها .

أخيرا ، هذان مثالان صغيران نوضح بهما ماحاولنا قوله في الصفحات السابقة .

١ ــ في قصيدة البحتري التي مدح بها الهيثم الغنوي بيت معروف لدينا جميعا هو :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

أرى في خيالي أن المشرف قد استقدم اديبا ليلتقي الاطفال بهدف تنمية تذوقهم الادبي وانه اتفق معه على الهدف من اللقاء بين الاطفال والامور التي ينبغي الاهتمام بها . وقد اختار الاديب قراءة نص من التراث الشعري . وكان هدفه الخفي تحقيق التواصل الادبي والوجداني بين الاطفال وصاحب النص . اتخيل الاديب يقيم مناقشة حرة مع الاطفال موضوعها فصل الربيع وغرضها اثارتهم واعدادهم نفسيا لتقبل القصيدة . لا أريد الاستمرار في الحديث عن الجزئيات التي يقوم بها الاديب قبل قراءة المختار من القصيدة عليهم ، لانني ارغب في الانتقال الى عملية التذوق مباشرة ، وأجعلها مقصورة على البيت المذكور وحده . وهنا أرى أن يناقشهم في البيت مستعينا بالاسئلة التالية :

السؤال	الجواب المحتمل وروده من الطفل
١ ــ عن أي شيء يتحدث البيت ؟	عن الربيع
٢ ــ كيف اتى الربيع ؟	اتى الربيع طلقا يختال ضاحكا
٣ ــ من منكم يستبدل بأتاك فعلا آخر ؟	قدم
٤ ــ من يقرأ لي البيت بعد ان يستبدل بأتاك فعل قدم ؟	قدم الربيع الطلق يختال ضاحكا
٥ ــ هل تغير معنى الجملة حين وضعنا «قدم» عوضا عن «أتاك» ؟	لم يتغير كثيرا
٦ ــ اذا ترك لك أمر انتقاء فعل من الفعلين فأيهما تختار ؟	أتاك
٧ ــ لماذا ؟	لان « قدم » ليست بمعنى « أتاك » تماما
٨ ــ بم يختلف فعل « أتاك » عن فعل « قدم »	وجود الكاف
٩ ــ ما اسم هذه الكاف ؟	كاف الخطاب
١٠ ــ من يخاطب بها ؟	صديقه
١١ ــ لماذا يخاطب صديقه ؟	....
١٢ ــ اذا أردت أن تذهب الى البستان فهل تفضل ان تذهب وحدك أو تأخذ صديقك معك ؟	آخذ صديقي معي
١٣ ــ لماذا ؟	لنستمتع بالمناظر ونلهو ونلعب
١٤ ــ لماذا لا تستمتع بالمناظر وحدك ؟	اذا كان صديقي معي استمتع اكثر لانني احبه ايضا .
١٥ ــ هل تعرفون اذن لماذا استخدم الشاعر كاف الخطاب ؟	لانه فرح بالربيع وأراد ان يستمتع صديقه معه به .
١٦ ــ ما معنى قوله : أتاك الربيع الطلق ؟	أتاك الربيع المتحرر
١٧ ــ معنى « الطلق » اذن المتحرر ؟	نعم
١٨ ــ تعالوا نضع « الحر » عوضا عن « الطلق » اذن ؟	اتاك الربيع الحر
١٩ ــ هل بقي المعنى السابق نفسه ؟	تغير
٢٠ ــ لماذا ؟	لان الطلق أجمل من الحر
٢١ ــ اذا اردت أن اختار كلمة معناها ضد معنى «الحر» فماذا اختار ؟	عبد
٢٢ ــ هل أختار « عبد » ضد « طلق » ايضا ؟	لا
٢٣ ــ لماذا ؟	لان « الطلق » معناها غير مقيد ، ولكنها لا تعني « العبد »
٢٤ ــ تلاحظون اذن أن الشاعر اختار كلمة دقيقة لا نستطيع وضع غيرها مكانها	

لا أريد الاستمرار في الحديث عن تذوق البيت ، ففي مقدور المرء الاديب سؤالهم عن معنى « أتاك الربيع الطلق » بعد الجزئيات ، وسؤالهم عن معنى « يختال » ثم ابدالها بـ « يتبختر » ، وهل يضحك الربيع ؟ ومن يضحك اذن ؟ ولماذا جعل الربيع يشبه الانسان ؟ ولماذا يضحك ؟ ومعنى الحسن والفارق بينه وبين الجمال « كاد » ، ولماذا لم يتكلم ، وأسئلة اخرى كثيرة يجعلهم يتذوقون من خلالها البيت . مع ملاحظة انه لم يقف عند الاستعارة المكنية في « الربيع » أو التصريحية في « يختال » لان الاطفال لا يعون هذه المصطلحات ولا يهمهم الحديث عنها . ويمكن أن نلاحظ أن الربيع شيء مقبول عند الطفل ، والحديث عنه هين لين مقبول ، وأن الطفل مارس التعبير واطلاق الاحكام وجهد الاديب في تعويده الدقة ، والاستماع له . ومن الملاحظ أن المناقشة السابقة تجعل الطفل يسير سير الشاعر في فهم أبياته ، بمعنى أن الطفل يتابع عاطفة الشاعر ويحس بها ، فيبادله شعورا بشعور ، تبعا لفهمه العميق لما كتبه ولمشاركته الواسعة في سبر جمال المبنى والمعنى .

٢ ــ استقدم في هذا المثال خطاط ليلتقي الاطفال ، وتم الاتفاق معه بمثل ما تم مع الاديب السابق . وقد اصطحب الخطاط معه عدة لوحات ذات زخارف في كل واحدة منها « بسم الله الرحمن الرحيم » ، على أن تكتب لوحة بالخط الكوفي واخرى بخط الرقعة أو الثلث او النسخي وهكذا .. من المعروف ان النبوغ في الخط يدل على عقل متزن ، وسمو في الفن ، وتفرد في الابتكار والاختراع . وأن هدفنا من التقاء الكبير الاطفال هو تدريبهم على الانتباه الدقيق ، والملاحظة العميقة ، وتعليمهم النظام والانسجام والتنسيق وحسن الترتيب والنظافة والتأني لبلوغ الكمال . لهذا كله أرى أن يلفت انتباههم ــ عن طريق الاسئلة طبعا ــ الى اللوحة اذا خلت البسملة من الزخرفة ، واذا وجدت فيها ، وفي أي مكان يشاهدون مثل الزخرفة ، والى اللون الذي طليت به اللوحة ، ثم الى الانسجام بين الزخرفة والخط واللون، ثم الخطوط مستقيمة أو معوجة ، أو قصيرة او طويلة أو مدورة(٢٠)

والخطوط ذات طول واحد في السطر الواحد فلماذا؟ لو كان أحدها طويلا والآخر قصيرا او مدورا فماذا ينتج ؟. في اللوحة الثانية اختلفت كتابة السين ، هنا لها رؤوس صغيرة في البداية ، وهناك لا توجد . في الخط النسخي نضع للسين رؤوسا ، وفي خط الرقعة لا نضع رؤوسا . ارسم سينا رقعية واخرى نسخية وهكذا يمكن أن يكتب لهم حرفا موضحا جزئيات حركة اليد في أثناء رسم الحرف ، ثم يطلب منهم أن يفعلوا مثله بالاستعانة بخطوط رأسية او افقية او مقوسة لضبط أجزاء الحرف وتحديد اتجاهاته وابعاده ليتيسر لهم محاكاته . فكتابة السين الرقعية تحتاج الى ثلاث حركات الاولى من اليمين الى اليسار بخط مستقيم مقوس قليلا ، والثانية من الاعلى الى الاسفل بخط مقوس فتحته الى اليسار ، والثالثة من الاسفل الى الاعلى بخط مقوس فتحته الى اليمين ، وهكذا ..

ان تنمية التذوق عملية شاقة عسيرة ، ولكنها ممكنة . ولعل أهميتها تكمن في ان الطفولة هي مرحلة اكتساب العادات والمهارات ، فاذا فات الطفل اكتسابها صعب عليه استدراكها حين يكبر .

سمر روحي الفيصل

الهوامش

١ ــ تضم مجموعة القيم الترويحية القيم التالية : الخبرة الجديدة ــ الاثارة ــ الجمال ــ المرح ــ التعبير الذاتي ــ المبدع . انظر : القيم السائدة في صحافة الاطفال العراقية ، خلف نصار محيسن الهيتي ــ وزارة الثقافة والفنون ــ بغداد ١٩٧٨ ــ ص ٥٦

٢ ــ انظر : الثقافة الفنية والتربية ، د.محمود البسيوني ــ دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢٥٦ وما بعد .

٣ ــ انظر : فلسفة الجمال ــ د . عبد الفتاح الديدي ــ دار المعارف ــ القاهرة ١٩٧٨ ــ ص ٤٤ هذا ، ويشير الديدي الى أن الحس الجمالي يضم معنى البصيرة في حواسنا وأحكامنا ويعبر عن نشاط محدد ، ويشير بالتالي الى ملكة مميزة الى حد ما في ادراك نسق معين في الاشياء هو النسق الجمالي . انظر : ص ٤٥

٤ ــ انظر : معايير الحكم الجمالي ، سعيد عيد يونس ــ مجلة الثقافة العربية الليبية ، س ٥ ع ٣ ــ آذار ١٩٧٨ ص ٨٦

٥ ــ انظر : فلسفة الجمال للديدي ــ ص ٤٧

٦ ـ انظر : الثقافة الفنية والتربية للدكتور البسيوني ـ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨

٧ ـ انظر : طفلك وفنه ، فكتور لونيفلد ، ترجمة: سامي علي الجمال ـ سلسلة الالف كتاب ٣٧٥ـ مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٦٦ ـ ص ٥٨

٨ ـ يقول بشار بن برد الشاعر العباسي : والاذن تعشق قبل العين أحيانا ، ولعه يقصد هذا الذي نقوله عن أهمية حاسة السمع في تكوين المشاهد في المخيلة كأن المرء يراها بعينه . وقد قيل أيضا ان الاذن ترى.

٩ ـ انظر : طفلك وفنه ، فكتور لونيفلد ـ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨

١٠ ـ انظر : الثقافة الفنية والتربية للدكتور البسيوني ص ١٣٣

١١ ـ المرجع السابق نفسه ص ١٣٤

١٢ ـ انظر : طرق تعليم الفنون ـ د . محمود البسيوني ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٢

١٣ ـ لتفصيل الحديث عن التعبير الذاتي من وجهة نظر علم الجمال ، يستطيع المرء مراجعة : فلسفة الجمال للدكتور الديدي ـ ص ٣٨

١٤ ـ يأسف المرء هنا لاقتصار الموسوعة العربية الميسرة في تفسير « الذوق » على المعنى المادي له وحسب ، واغفالها المعنى الوجداني . انظر :الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب ـ القاهرة ـ ص ٨٤٨ راجع لتفصيل قضية الذوق والتذوق : الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ـ عبد العليم ابراهيم ـ دار المعارف ـ القاهرة (الط ٩) ١٩٧٦ ـ ص ٢٧٣

١٥ ـ انظر : أحاديث ، د . طه حسين ، دار العلم للملايين ـ بيروت (الط ٧) ١٩٧٨ ـ ص ٤٧ ـ ٤٨

١٦ ـ انظر : طرق تدريس اللغة العربية د . جودة الركابي ـ دار الفكر ، دمشق ١٩٧٣ ص ١٨٣

١٧ ـ يرى الدكتور عبدالفتاح الديدي أن مشكلة فلسفة الجمال الرئيسة كامنة في أن الفلاسفة اعتادوا أن ينظروا اليها من وجهة نظر اجتماعية او نفسية أو فلسفية أو معرفية او عقائدية أو ما يتحكم في الاحساس الجمالي حولها من قوانين الغريزة والوراثة أو الخير والشر . ونسي هؤلاء جميعا أن يربطوا الكلام في الجمال بالشيء الجميل ذاته ، سواء أكان مظهرا من مظاهر الطبيعة ام كان من خلف الانسان المبدع في مجال الفنون والآداب وفي مجال الحرف والمصنوعات والاشياء الملموسة العملية .

انظر : فلسفة الجمال ص ٥ ـ ٦

١٨ ـ انظر : مشكلة الفن ـ ٥ د . زكريا ابراهيم ـ مكتبة مصر ـ القاهرة ـ د.ت ـ ص ١١٩

١٩ ـ انظر : فلسفة الجمال للديدي ـ ص ٤٥

٢٠ ـ انظر : المرجع في تدريس اللغة العربية ـ د . سامي الدهان ـ مكتبة أطلس ، دمشق ١٩٦٣ ـ ص ٢١٠

المراجع

١ ـ ابراهيم ، د . زكريا : مشكلة الفن ـ مكتبة مصر ـ القاهرة (د . ث)

٢ ـ ابراهيم ، عبد العليم : الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ـ دار المعارف ـ القاهرة (الط ٩) ١٩٧٦

٣ ـ البسيوني ، د . محمود : طرق تعليم الفنون دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٢ ـ الثقافة الفنية والتربية دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٥

٤ ـ حسين ، د . طه : أحاديث ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٨

٥ ـ الدهان ، د . سامي : المرجع في تدريس اللغة العربية ـ مكتبة أطلس ـ دمشق ١٩٦٣

٦ ـ الديدي ، د . عبد الفتاح : فلسفة الجمال دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٨

٧ ـ الركابي ، د . جودة : طرق تدريس اللغة العربية ـ دار الفكر ـ دمشق ١٩٧٣

٨ ـ لونيفلد ، فكتور : طفلك وفنه ـ ترجمة : سامي علي الجمال ـ سلسلة الالف كتاب (٣٧٥) ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة ١٩٦١

٩ ـ الموسوعة العربية الميسرة: دار الشعب ـ القاهرة

١٠ ـ الهيتي ، خلف نصار محيسن: القيم السائدة في صحافة الاطفال العراقية ـ وزارة الثقافة والفنون ـ بغداد ١٩٧٨

١١ ـ يونس ، سعيد عيد : معايير الحكم الجمالي مجلة الثقافة العربية الليبية ـ س ٥ ـ ٢٤ آذار ١٩٧٨

مدينة الإسكندر

دراسة بقلم : رشيقة العمري

صور وخوف ، هرب وطبيعة ، ثورة والوان، ضجيج واسئلة ، شراب وجنون،تقاليدوتمرد ،سحق وحنان .. وامرأة مباعة وعاشقة وعاقر وجامحة وأم ومقهورة وسكرى وضائعة ..

كل هذا تعيشه بنزق وامتلاء ويتغلغل الى أعماق فكرك وعواطفك وانت ترافق مدينة الاسكندر ..

صراخها الاخرس أعلى من كل صوت ، وهزيمتها المفجوعة اقوى من كل الانتصارات وعريها المرعب مغلف بألف ألف حب وحرمان وآمال .

امرأة منتزعة من تقاليد مئات السنين ومزروعة في صحراء قاحلة ، تهرب منها الينابيع يوجعها الضوء وتخنقها البراءة . تخاف من الصقيع والوحدة وتتوق الى الانس والحنان وتتمنى اي عابر سبيل ، « لو يطر قبابي اي عابر سبيل او انسان تائه ، لاضأت له أصابعي شموعا ودعوته للعشاء واحتساء الشاي قرب الموقد اتكوم حوله ، ونتسامر أحكي له عن ايام زمان وترقص اشيائي الصغيرة وتزهر شجرة التفاح خارج النافذة » .

تتمنى عابر سبيل وزوجها الكهل يغط بنوم عميق ويعلو شخيره ويطمس صوت الليل والظلام .

مدينة الاسكندر مدينة رائعة بصدقها وعفوية احداثها ، وقد سكنتها الليلة تلو الليلة ، وهربت اليها وعشت معها الامسية بعد الامسية ، حملتها بجعبتي وخبأتها تحت وسادتي ، وعرضتها على اخوتي وصحبي ولجأت اليها طويلا طويلا وعشت مع أحداثها وصادقت ابطالها بل بطلتها واحببتها وحدثتها واستمعت اليها وشكوت لها مدينتي وقهري ، فشعرت انها قريبة مني بل أقرب الي من ابنتي واختي ورفيقتي وكثيرا ما تراءت لي انها مرآة نفسي انها انا ، انا الذاتية ، انها بعري وخوفي ، انا بقهري وتمردي انا بضعفي وثورتي .. وهذا الشعور قلما اعرفه في الواقع بل اعيشه مع بعض بطلات الروايات وأقول هناك في زاوية ما من العالم تعيش امرأة مثلي وتعاني ما اعاني. وتأتي مدينة الاسكندر لتنتزعني من أرضي وترمي بي بعيدا بعيدا ،ترمي بي الى عالم طفولتي وجموحها وشبابي وطموحه واحلامه وعشقه ، وتعيدني مع عتمة الليل الى غرفتي ووحدتي تعيدني انسانة تتفجر ، تتمزق ، تحترق ، انسانة ترفض صقيع واقعها وبلاهة انتظارها وفشل ثورتها ، ومجانية أدمعها ، تعيدني وسؤال كبير يرعبني ماذا عملت ؟ أين اسير وقطار الزمن يتجه نحو الهاوية ، ماذا عملت وانا المسحوقة حتى العظم من الفقر والتعصب والجهل والتقاليد .. ماذا قدمت وانا المرأة المباعة بالمزاد العلني والمغتصبة بقهر والتي تعيش قهرها

واغتصابها بمرارة وتمرد . اغتصابها المرعب والذي يتكرر كل يوم بألف لون ولون .

مدينة الاسكندر لحن مترف وكلمات مبتورة ، وصور مرعبة ، واناشيد متوسلة وخوف مدمر ، وصدق مبهر .

مدينة الاسكندر امرأة مسحوقة حتى الصميم وواقع ينزف الما ومرارة صور من واقعنا العام . وأقول العام لانه عالم كل امرأة في عالمنا الثالث المقهور والمسربل بالتقليد والجهل . عالم كل انثى منتزعة من براءة الطفولة والقرية الصغيرة والحي النظيف وصحبة الجدة الطيبة والجد الرجل الامثل بقوته وشهامته واقع تلك الانثى الغريبة المرمية في خضم المدينة الكبيرة بالوانها الزائفة واضوائها المثيرة وعروضها المغرية والغارقة في أمور واحداث بعيدة عن الانسانية ، والحياة في البيت البارد المنسي من الدفء والحنان والعطاء السمح والفرح الحقيقي والمطمور في الزيف والكذب والمظاهر والالعاب الدنيئة .

هذا واقع المرأة بشكل عام والسؤال أتعيش كل امرأة هذا الواقع ؟ اتفهم كل امرأة هذا الواقع وتغرق في مرارته وفشله وزيفه ؟ أتشعر كل امرأة بالخيبة والقهر والحرمان ؟ والجواب نعم .. ولكنها لا تعرف كيف تعبر عن هذا الواقع .

وتأتي المؤلفة اعتدال رافع لتلتقط وبشكل ذكي ومرير ومرعب واقع المرأة هذا وتطرز به صفحات مدينة الاسكندر .

أنا لا أملك شيئا حتى ثيابي التي ارتديها، الاحساس بالملكية شيء معنوي ، امتلاء طمأنينة ، دفء .

وانا ما أحسست يوما بمتعة ان يكون للانسان قلب يدق ، انا امرأة شرقية مباعة بالمزاد العلني ، مكتوب على جبيني صرخات .

وكان الليل ، أتيبس من الوحدة والموت والاختناق يبري اجنحتي ، اعانق وسادتي مفجوعة ، ومهزومة .

أنا أكلت لساني والذي يأكل لسانه يا جدتي انسان مقهور . انا بلا لسان ، اعماقي ضجيج معارك ونزيف .

لو كنت املك غير حنجرة مطحونة بالزجاج لصرخت بأعلى صوتي .. أعيدوني الى صرتي التي وجدتموها على باب الجامع (١) .

صور مرعبة جدا لانسانة بلا هوية ، بلا أسم وكلنا في زمن الرعب اشخاص بلا هوية لاننا نعيش بلا حب .

زمن الرعب الذي يجرح الليل ويقهر البحر ويغتال الكرامة . ويشرد الاطفال ويطلق الغرباء لتفقأ عيون الابرياء وتفكك الانسان وتحيله مزقا ملونة والغول يأكل حنجرته ويبتر أرجله .

« حبيبي معلم مدرسة ، وأنا ابنة غير شرعية كلانا ينتسب الى مدينة قرنت زوجها البحر . احياء محصورة بالدمار مزروعة بالمتاريس ، أطفال اشبه بهياكل عظمية وجماجم تاريخية(٢) » .

« لو يعود طفلي ويشدني من تنورتي وأطرق بنظراتي الى الارض حتى لا تجرح ضياءه وافتح له زراعي وهو يبتعد ، وتنبت العروق في ساعدي ويصبحان دالية يابسة ، ويتخبط عبي وينعجن بالعرق والدموع ويصبح وشما بشفتين نابضتين بينهما سكين » (٣) .

جميل جدا حديثها عن الشيخوخة بهذا الشكل الجديد . وهنا الشيخوخة نفسية وهذه قلما يشعر بها انسان او يحسن التعبير عنها. قد تشيخ المرأة وهي في العشرين . وقد تكون المرأة شابة وعذبة بعد الستين وهذا ما نراه في وجوه وحركة النسوة حولنا ولا نعرف له تفسيرا .

فالشعور بالعمر يعود الى الوضع النفسي ويتجلى بالقدرة على الحب والعطاء والامل . القدرة على تقبل الحياة والاندماج باحداثها والفوضى الى اعماقها وهذا لا يمكن ان تعرفه المرأة اذا كانت مقهورة ومستباحة وهنا من يقول وهذا صحيح (**الانوثة الحقة تبدأ بعد الخمسين**) وتصوير الشيخوخة النفسية امر مدهش فلكل امرأة اكثر من عمر . الفرح يعيدها شابة والحب يجعلها تزغرد كاللحن رغم سنواتها الكثيرة ، والقهر يجعلها عجوز وهي في أول درب الحياة .

(اللهم اعيدني شابة مع كل امرأة في بلدتي .. اعيدني للحب والحنان والعطاء) استجدي صوت عكازة له رفة الاجنحة المحتضرة اصغي وانزرع آذان

خلد وعيونا فسفورية في المسافات المقفرة المحيطـة بالمنزل . اتعب من الوقوف والانتظار قرب النافذة .

لا مجال للوم عند ابنة الخمسين ، والقلب يلح : الاحباب والاصدقاء ذهبوا بعيدا يفصلني عنهم الزمن والزرقة والمدى .

لقد كنت يوما خصبة وجميلة كهذه الجبـــال السحرية من المطر تسيل على زجاج نافذتي « (٤) .

ما أحوجني واحوج كل انثى متوحدة الـى هـذه الامنيات .. اننا ننتظر دائما صوت عكازة وجرجـرة أقـــدام .

القلب يلح وما أقسم الحاحه .. يلح ويعربـــد لانه لا يعرف العمر ولا يعترف على الخمسين الاحباب ذهبوا ما أشد الحنــــين اليهم فقربهم يدفء القلب الوحيـــد .

« أنا لست ثملة واعرف الطريق جيدا وأرغب ان أ[illegible] بمفردي ، ليغازلني المطر ، ويضاجعني الخوف في [illegible]ر المطاف .. ما معنى نسيانـــي للطريق الذي ي[illegible] الى المنزل » .

[illegible] ذروة الضياع والرغبة في الهرب من صقيـع الز[illegible] وفراغه من الحب والحنان والامـــل . مرعب [illegible]ذا الشعور وهذه الامنيات . ان يضل الانسان طريق بيته ، ان يطمس معالم ذاك البيت .. وعندما تفقد [illegible]رأة حنانها وحبها الى بيتها ، تفقد معنى حياتها و[illegible] لعالم أجمع . ماذا يجدي المرأة من العالم وهي بلا بيت [illegible] لها بيت تتمنى ان تضيع عن دربه .

امسك بيدي ايها الليل وكن لي أبا رحيما أنا امرأة بلا أحد . عيناي خوابي مليئة بالاصداف لو لم توش أيها الليل بعطر الفواني وضحكاتهن لكنت بـلا سحر . بلا قمر (٥) .

ساقوني الى المسلخ بغلالة شفافة خجلت من عريها الفاضح ، بعد ان نزعوا الشعر من جسدي ورشوني بالعطور الزخمة ، وطلوني بالاصباغ الفاقعة ، آه تم وعويل في اعماقي وايديهم تصهرني من الخارج ومباهج العالم كله لن تعيد الي ومضة الفرح بعد اليوم .

أنت عظامي من الالم تحت ثقل الجسد الهائل الذي سقط فوق جسدي ، وبحركة واحدة مـــن يـــده اصبحت ملابسي نتفا (وبلت) رغما عني .. اكلني .. وتحول الالم الى غيبوبة ضبابية ، ندت عني صرخـة مسعورة مزقت ستار الصمت : لو صرخت كـــل الحيوانات المسعورة في العالم صرخة واحدة لمـــا احدثت مثل ذلك الصوت (٦) .

تصوير رائع للانثى المباعة ، الانثى المغتصبــة وما أكثر النسوة المباعة والمغتصبة في بلدي فكل امـــرأة تزف أو تعيش مع رجل ترفضه نفسيا وعاطفيا وفكريا امرأة مغتصبة .. كل امرأة تساق الى رجل لا تحبـه اغتصاب واغتصاب شرس .

« مراسم الدفن أطول مراسم في التاريخ ، الرحم لا يلفظنا بسهولة ، التراب لا يوارينا بسهولة ، لست حزينا كما يخيل للمشيعين في جنازة اختي انا موجـع فقط بداية النهاية صفر ، الاشياء بعده واضحـــة وراسخة بلا اهتزاز .. لن اهتز »(٧) .

نذرت جدتي سارة ان رزقها الله بولد ان تـذهب زاحفة على بطنها الى مقـــام الست ، استجاب الله لدعائها ورزقت بخالي حسن الصغير ، قبل ان تتم جدتي اسبوع نفاسها بدأت زحفها المنذور الى مقـام الست ، والفرحة عامرة والمسافة طويلة والطريـــق أشواك وأحجار ، وبطن جدتي الرقيق والمهلهل مـــن كثرة الانجاب لم يتحمل الزحف الطويل تقرح واهترأ وماتت في اليوم التالي بعد أن وفت النذر ، انقهر جدي لان خالي حسن الصغير سيربى يتيما »(٨) .

نقد حاد ومختصر لعادات كيئبة وتقاليد موجعـة ومع ذلك نمارسها ونعيد ممارستها .. جاءت بهـــا المؤلفة عفوية ، وصادقة وواقعية .

« أنا امرأة اجيد حكي الحكايا والغناء بصــوت مبحوح ، ورتق الجوارب والانتظار ومرت سنوات .

وفجأة عاودني حنين قديم ، حنـــان سخي راح يقطر من شفتي ومن رؤوس اصابعي كان القمر بـدرا فاسدلت شعري على كتفي ، وكحلت عيني وارتديت فستاني الابيض ، سحرتني الدهشة للحظات ، وانـا انظر الى نفسي في المرآة وابتسمت : حمدا لك ياربي : لا زلت امرأة » .

انك انثى بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنـــى والانوثة تتفجر بكل صورة من صورك وهمسة مـــن شفاهك . .

« ومع كل هذا الدأب والتفاني لم يرض حبه وقلبه وبؤبؤ عينيه أم بهيج .. تريد مكحلة مذهبة ـ واثوابا حريرية .. وتلقى عرضا مغريا من أحد أقاربها .

ـ ما رأيك يا (ابو بهيج) ان تأتي معي الى المدينة وتدفن الفقر الى الابد ، حيث تقوم انت بتدريس الاولاد وزوجتك المحترمة تعاون الست .. وتحول مجرى حياته في المدينة .. النهر عندما يغير مجراه تتبدد مياهه عبثا . وغرقت أم بهيج بتكحيل عينيها بعد أن صار عندها ذزينة من المكاحل الذهبية واثواب حريرية بعدد ألوان قوس قزح ولم تنس ابا بهيج في غمرة مشاكلها الجديدة ، كانت تتحفه ايضا بربطات العنق والاحذية والبدلات :

ـ السروال لم يعد يليق بك يا أبا بهيج .
ـ ابو بهيج اسم قروي وفلج
ـ شاربك يجرح انفي ووجنتي

وانصاع ابو بهيج لاوامرها **(عند ما يهجر الانسان سرواله يصبح شبحا بلا ظل ، وعندما يحلق شاربيه اللذين كان يقسم بهما يتحول الى صعلوك وعندما يغير اسمه يصبح قوادا) .**

ـ لا .. لا ..

وقف صائحا ومعربدا بجنون

ـ أيها السادة ان الشخص الذي أمامكم ، كان رجلا محترما ، وكان يملأ سراوله بجدارة اما الآن فقد أصبح ...

خرس ولم يجرؤ ان يقول اكثر من هذا .. تعالت الاصوات ملحة ..

ـ ماذا أصبح .. قل ولا تخجل
جمع شجاعته .. وبنبرة خافتة قال :
ـ أصبح فأرا

وضجت الحانة بالضحك

وهنا وصل أبو بهيج الى ذروة انفعاله ، فوقف مترنحا وضرب رأسه بالحائط فهوت الزجاجات المرصوفة على الرف ، وانغرست شظاياها في رأسه وبيد مرتعشة رفع كأسه ، وباليد الاخرى كان يناول صاحب الحانة رزمة من الاوراق النقدية مغموسة بدمائه وامام النظرات الزائفة لرواد حانة الدراويش انفتح فمه كالجرح وهو يصرخ ..

ـ في صحة مصلوب العصر .. الاسكندر ذي المليون قرن .

وتهاوى على المائدة كومة من اللحم والدم والكبرياء والمهاجرة » .

قصة مرعبة .. قصة الانسان الذي يترك بلده ويصبح ثريا بسرعة في الغربة ..

واستطاعت المؤلفة ان تعري ذاك الانسان ، انسان المال المتدفق ، انسان الضياع الذي فقد انتماءه .. الانسان الذي استبدل ثيابه وغير اسمه ولون جلده ، وهجر كرامته ، وترك رجولته ، وترك معها اخلاقه ، وعفويته وصدقه . الانسان المصلوب على طلبات غانية ما احبته يوما ولا رضيت به .. تخونه على كل المستويات .

وانسان هذا وضعه **يعيش بألف قرن وقرن .**

وكلمة اخيرة .. تمنيت ان أكون غريبة عن المؤلفة اعتدال الرافع لامدح كتابها مدينة الاسكندر . الانوثة تضج بكل أحرفه ، الانوثة الحقة بكل معاناتها من تعب وحنان وامومة وسحق ورغبات .. انوثة تجعلك تقول .. انها أحرف انثوية ومعاناة انثوية وهذا رائع جدا .

مدينة الاسكندر .. مدينة الانسان الضائع المسحوق مع قرونه الالف المنتزع من بيئته الحلوة والمرمي مع فشله وقهره في مدينة ترفضه باستمرار لانه باع نفسه بثمن قذر قبل أن يسكنها .

● رشيقة العمري ●

---

(١) مدينة الاسكندر ص ٣٢
(٢) مدينة الاسكندر ص ١٣٥
(٣) مدينة الاسكندر ص ١٠٦
(٤) مدينة الاسكندر ص ٦٠
(٥) مدينة الاسكندر ص ٤٤
(٦) مدينة الاسكندر ص ٣٦
(٧) مدينة الاسكندر ص ٨٠
(٨) مدينة الاسكندر ص ١٦

العلاقة الجدلية بين جوهر الشعر والشاعر مدحة عكاش

بقلم : د . محمد جبر

لا يمكن لفن من الفنون ان يكون خالدا الا اذا كان طائره المجنح عظيم الافق واسعه ، شامخ التحليق .. والخيال عندما يبلغ رشده وينضج يصبح محور التخيل بالتحول من الخيال الى الاقرب موضوعية ، وهذا ما يسمى بذلك الطائر المجنح الذي يعيش ويتنفس من روضة كل فن بهيج .. ألا وهي الرومانسية .

« الكاتب »

لكي يتوصل الاخصائيون بالنقد الادبي لدراسة الشعر العربي الى مقترب يختلف عن تقسيم القصيدة الى شكل ومضمون ، أراني ليس مضطرا الى تشريح جسم القصيدة فأفصله الى هيكل عظمي يميزه عما فيها من لحم ودم وعظم وان هذا تعافه النفس لانه من مهمة « الجزارين » وليس من مهمة الاديب الناقد، لان مهمة الاديب الناقد في وجهة نظري هي تسليط الاضاءة على الجمال والتجديد وليس على التشريح والتجزيء(١) ومن هنا تبرز الحاجة الى التحديد والفهم .

ما هو الشكل والمضمون ؟ وهل الشكل والمضمون من المفاهيم الفيزيولوجية التي لا يمكن ان تنالها يد التغير والتطور الا على يد معلمي التشريح ؟. أم تراها من المفاهيم العضوية الحيوية التي تخضع لشؤون التطور بالتجريد والتجربة ؟. أم هي من الاشياء المادية في تركيب كيماوي بحاجة الى دخول المخابر العلمية ؟.

اذن فليتسلم المهمة معلم الكيمياء ويخرس النقاد والى الابد !!؟. ليست هذه التساؤلات جديدة في التبويب والطرح في باب الآداب جميعا .

وانا لا أزعم ان الدراسات الانسانية ، ومنها دراسة الشعر تحسن صنعا ان هي قامت بين حين وآخر باعادة النظر في المفاهيم التي تتعامل بها تلك الدراسات ، فتشذب ما يحتاج الى تشذيب ..وتجدد ما يحتاج الى تجديد .. ولكن ليس لاي كان الحق في هذه المهمة الخطيرة .. وخاصة اهل الهوى «المتأدبين» مثال النحلة التي تقف عند زهرة لتمص رحيقها وتفرزه عسلا فيه شفاء للناس .. و « الخلد » الذي يحفر سراديب تحت الارض ويقضم جذور الازهار فتزوي وتذبل ويتبخر عطرها وشذاها ويذوب جمالها والى الابد .

ومن هذا المنطلق نبدأ بتناول الاعمال الفنية اذا كنا من المؤمنين بسنة التطور والسير الى الامام بالخير والجمال . والحديث عن الشعر يتطلب من محدثيه ودارسيه تذوق الجمال باشكاله المتعدد ، والالمام

بتحديد مفهوم الشعر بموضوعية وعلمانية معرفية ثقافية .. وتحصيل ذاتي ينبع من التذوق والاحساس.

وانا لا أزعم اني أستطيع ذلك على الوجه الاكمل في مثل هذه الدراسة لمفهوم الشعر ، وأنا لا اعتقد بضرورة وجود مثل هذا التعريف التشريحي لجسد الشعر اصلا ، بل أحاول ان اعتمد التذوق في مضمار الجمال والتجديد في هيكل الشعر .

فمن الموروث عن العرب قولهم أن الشعر : « كلام موزون مقفى » ولكن يوقفنا كتاب « نقد الشعر » المنسوب الى « قدامة بن جعفر » كلاما يفيد أن قدماء الناقدين كان لهم مفهوم للشعر أعمق من كونه الكلام الموزون المقفى . فالشاعر « انما سمي شاعرا لانه يشعر من معاني القول واصابة الوصف اصابة سليمة بما لا يشعر به غيره . واذا كان انما يستحق اسم الشاعر بما ذكرنا ، فكل من كان خارجا عن هذا الوصف ليس بشاعر ، وان أتى بكلام موزون مقفى ». أي دقة التعبير في معاني القول واصابة الوصف ، هما من ضرورات الشعر اذن عند قدماء العرب ، قبل توفر شرطي الوزن والقافية . ويعرف كل من قرأ القرآن الكريم وألم بتاريخ الرسالة والتنزيل أن عرب الجاهلية خشعت أبصارهم لما سمعوا الذكر ، وأخذتهم حالة من الذهول بما في الآي من بيان يأخذ بمجامع القلوب ، فكانت استجابتهم الفطرية الانسانية الاولى ان هذا شعر . فرد عليهم الوليد بن المغيرة بقوله : « والله ما منكم اعرف بالاشعار مني ، ولا أعرف برجز الشعر وقصيده مني . والله ما يشبه الذي يقوله شيئا من هذا ، وان لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة ، وانه لمثمر أعلاه ومغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى عليه وانه ليحطم ما تحته » . وقال الامام العارف « أحمد ابن محمد الصاوي المالكي الخلوتي في تعليقه على (تفسير الجلالين) في قوله تعالى في سورة الانبياء « بل قالوا اضغاث احلام بلى افتراه بل هو شاعر » قال : « ليس المراد بالشعر هنا خصوص الكلام الموزون المقفى قصدا بل هو أعم من ذلك » . ترى ما الذي حدا بعرب الجاهلية أن يصفوا معجزة البيان بانها شعر . وهم الذين يقيمون للكلام الموزون المقفى سوق عكاظ ، ويعلقون النفيس منه على أستار الكعبة ، وهم الذين أورثونا من رجز الشعر وقصيده ما جعلنا نسهر من جرائه ونختصم ، منذ أن وقف الملك الضليل يبكي من ذكرى حبيب ومنزل ؟ فبين هذين الموقفين من اعجاز القرآن نجد فرقا واضحا في مفهوم الشعر ، حتى عند عرب الجاهلية انفسهم قبل نشأة المدارس والمذاهب الادبية .. فهل نستغرب اذا وجدنا اختلافا أبعد مدى بين المعاصرين في مفهوم الشعر وتذوقه ؟. كما رأينا في تمييز العرب بين النثر والشعر ، حينما قالوا أن الشعر هو الكلام الموزون المقفى .

لم يكن هذا القول تعريفا للشعر أو تحديدا لجوهره وخصائصه ، بل كان تمييزا له عن النثر لا غير . بقي على النقاد العرب ان يضعوا على توالي العصور نظريات شتى في نقد الشعر ، تتناول ماهيته وخصائصه . فعقدوا الفصول في علاقة معناه بمبناه ، حتى ذهبوا في ذلك مذاهب معروفة لدى كل باحث .

كان من نتائج هذا التمييز بين الشعر والنثر انه جعل كل وازن وقفاء شاعرا . فكان لا بد للنقد من التصدي الى رفع بعضهم فوق بعض طبقات ، ابتداء من الصعاليك وأصحاب المعلقات في الجاهلية وانتهاء بشعراء يومنا هذا . فكان لنا الشاعر الشاعر ، والشاعر الفحل ، والشاعر الكبير ، والشاعر المجيد . الخ .. الخ ..

وكان من نتائجه ايضا انه اخرج من حرم الشعر كل كلام شعري لا موزون ولا مقفى ، كما انه أوقع النقد الموروث في حيرة امام الكلام النثري المتزي بزي الشعر . فدعاه بالشعر المنثور أو بالنثر الشعري حينا ، وبالنثر الفني حينا آخر . ثم دعا أوائل من حاولوا بالكتاب الخياليين .

كما في السنوات الماضية نودي بالويل والثبور وعظائم الامور . ومع ان حركة التحرر والانطلاق في معظمها ، داومت على الوزن والقافية ، لكن على نحو جديد ، الا انها وجدت من لم يعتبرها شعرا . وما ذلك الا لانها خرجت على ما هو موروث من كيفية استخدام البحور شعرا بالاستغناء عن هذا كله ، فلم تجد عند السلفيين الا الاستهجان والامتعاض ...

والحقيقة في نظرنا ان الكلام كلام هو ، سواء فيه المنثور أو المشعور . اما المشعور فهو ما تناولته صناعة الشعر فجعلته فنا جميلا ، تماما كما يتناول النحات الحجر ، والرسام اللون ، والموسيقي اللحن . ولهذه الصناعة كما لكل صناعة أصول وقواعد هي ، عدا الموهبة من جوهرها وطبيعتها . ولصناعة الشعر أصولها اوقواعدها .. واما النثر فنعرفه جميعا فلا لزوم لتعريفه . فالكلام اذن كلام كله . وما الشعر الا

كلا م‌صنعه شاعر . أما كيف صنعه ، فحديث طويل . يكفي ايجازه بقولنا : ان الشاعر اعتبر الكلمة رمزا اكثر منها معنى ، وحملها أكثر مما تحمل في الاذهان ، ثم زاوج بينها وبين شقيقاتها طلبا للتوتر والزخم لولادة الانسجام ونوع ما من الايقاع يساعده على ذلك . ثم انه ابتعد عن التقرير فلجأ الى العنف والمفاجأة لايقاظ حساسية القارىء ووضعه في جو شعري يحمله الى عالم غريب ، عالم سحري موعود طالما يحلم به دون ان يلقاه ويتعرف اليه ، عالم غير محدود لانه عامر بالامل ، عالم يذوق فيه فرط المرارة حلاوة كالحب . ثم أن الشاعر اخيرا ، اعطى تجربته الشخصية الجزئية مدلولا كليا ، فصارت لكل انسان في كل زمان ومكان .

هذا بعض ما يصنعه الشاعر بمادته الخام ، الكلام . فاذا نحن امام تعبير شعري لا يتميز عن الكلام النثري بالقافية والوزن فحسب ، بل بكونه تعبيرا فنيا عن تجربة شخصية فريدة جعلها طموحها الى اختراق الظاهر والعابر من حقائق الاشياء ارثا فريدا في صراع الانسان نحو اكتشاف المعنى الحقيقي للوجود ولوجوده في هذا الوجود ـ تعبيرا يجعل القصيدة كالمنحوتة ، كالقطعة الموسيقية ، كاللوحة الزيتية المرسومة ، خليقة متكاملة الاعضاء ، موحدة الكيان ، ناطقة . متحركة . موجودة لذاتها بمعزل عن الآخر ، لا تدين بوجودها لاحد ، لا تترك الكون الا ناقصا ـ شأنها في ذلك شأن الخليقة الالهية السوية .

والآن ماذا عن شيخ الادب مدحة عكاش الشاعر ؟ نظر « عكاش » الى الشعر نظرته الى الخلق والابداع في كل شيء . فهو « أبو اللغة العطوف ، وأم الادباء الحنونة » وكل « مخترع كبير كان أو صغير ، وكل مكتشف قويا كان او ضعيفا ، وكل مختلق عظيم كان او حقير ، وكل محب للحياة امام او صعلوك وكل من يقف متهيبا امام الايام والليالي فيلسوفا كان أوناطورا للكروم » هو يعنى بالشاعر ، ذلك الزارع الذي يفلح حقله بمحراث يختلف ولو قليلا عن المحراث الذي ورثه عن أبيه . ان الشاعر ذلك المتعبد الذي يدخل هيكل نفسه فيجثو باكيا فرحا ، نادبا ، مهللا ، مصغيا مناجيا ، ثم يخرج وبين شفتيه ولسانه افعال وحروف واشتقاقات جديدة لاشكال عبادته التي تتجدد كل يوم(٢) في الحب والحياة لنسمع ذلك من لسان شاعرنا « مدحة عكاش » نفسه :

آخر الحسن ما انتهيت اليه
فاسألي عن جلاله ناظريا

أنا أهواك كل طل بخيل
من هواك أراه عندي سخيا

نراه لا ينتهي تجريديا في بحثه عن الجمال الخالص ولا تجريبيا ، بل يبحث دائما داخل كونه الخاص .. وينطلق الى العالم الخارجي الكل لينقب عن الكمال الذي ينشد اليه طبعه دائما .. فنراه الهائم ابدا يسبح بمجنه الطائر الفرد في ملكوت الحب الصوفي النزعة .. والفريزي الميول الى حد ما . ومن مرفأ الى مرفأ يودع الراحة من الخطوة الاولى .. وهذا شأن كل باحث عن الحقيقة في الكون والوجود :

لا تضني على العيون بمرأى
بسمة الله رأفة بالمحاجر

نحن في ريق الشباب فغبن
ان تمر اللذات فينا عوابر

وينتبه من انزلاق ميله فتشده باللاوعي نزعته الصوفية فيقول :

أنت ايقظت بالنفوس شعورا
أنت أحييت بالرؤوس خواطر

لا تخالي قطعت عمرك تزهين
ببردعف الجوانب طاهر

فشفاه العشاق ظمأى ولما
قصرت عنك قبلتك الضمائر

كهذار يهوى الغدير ويخشاه
فيشدو من فوقه وهو حائر

الى ان يصل في عنفوان نزعته الى قوله في قصيدته « اباء » :

فلقد عشت في هواي أبيا
وسأبقى مدى الحياة أبيا

ولكن لن يقف هذا الشاعر عند حد النزعة والميل

دون أن ينصهر تحت وطأة وجدانه وحسه المرهف لا انه ينصهر بالحب والالم ليعطي كلمات مشعة مثل أحجار كريمة جلا شوائبها بركان متقد النار والغضب .

كالنحل صبار على لسعاته
ما دامت أجني من خلايا العسل

ونراه مرة اخرى يرى في الحب السمو والشفافية يرى أن الحب هو العطاء الخير .. والجانب الكريم . وواقد جمر العبقرية .. وقادح شرارة الفكر المقدسة هو محراب عبادات الابداع ، وشعاع صور استمرار الوجود .

وأرتني الحياة عيناك فردوسا
نديا ، ولست فيها شقيا

يا عيونا رب الجمال حباها
من فراديسه شعاعا نقيا
أنت اوحيت لي كريم المعاني
فأتى الشعر ساميا عبقريا

نراه دائما انتقائيا عفويا في صوره وكنايته ، وتعابيره يطوف كالبلبل بين رياض البلاغة ، وحسن البيان في اللحان كالسمفونيات الخالدة ، بشعر غنائي الطابع ، سلس العبارة ، جلي المعاني ، بسيط التركيب ممتنعه .

خطرات النسيم ليست وان رقت
تحاكي في لطفها خطراتك

وطيور الرياض تنشد لحنا
عبقريا على صدى خطواتك
ويستمر على هذا المنوال الموسيقي من اول

نفس من أنفاس شعره حتى نهايتها كالبستاني الذي يستنبت من الزهرة الصفراء والزهرة الحمراء زهرة ثالثة برتقالية اللون .. وكالحائك الذي ينسج على نوله نسيجا ذا رسوم وخطوط تختلف عن الاقمشة التي يصنعها جيرانه الحائكون .. وكالملاح الذي يرفع لسفينته ذات الشراعين شراعا ثالثا ، والبناء الذي يبني بيتا ذا بابين ونافذتين بين بيوت كلها ذات باب واحد ونافذة واحدة ، والصباغ الذي يمزج الالوان التي لم يمزجها أحد قبله فيستخرج لونا جديدا .

كان « مدحة عكاش » شاعرا مبدعا مطبوعا .. ذا سليقة واعية .. فأتى شعره غنائي النغمة ، سلس العبارة ، جزيل الصور جمالا ، انه شاعر يمتاز برشيق العبارة وقصرها في بحوره اللطيفة فكان اختيار حسه وذوقه نتيجة لتركيب شفافية روحه ، ونقاء سريرته .

وهذه العجالة في هذه الهمسة التي اطمع أن اسميها أكثر والتي اخترتها لتكون كلمة متقدمة لدراسة مطولة أرجو بها ايفاء بعض من حق هذا الاستاذ الجليل في عالم الكلمة .. وما له من حق على الكثير من الادباء الكبار والشباب . ومعاذ الله أكون مجاملا فالحقيقة واضحة مثل الشمس في النهار . فأرجو عذري عن هذه العجالة في هذه الهمسة القصيرة جدا .

● د . محمد جبر ●

---

١ ـ المزاجية وعلاقة الاديب « بالناقد للكاتب » مجلة الخفي ك ١ . ر

٢ ـ جبران ـ الشاعر ـ

من كتاب الحركة الشعرية المعاصرة في حمص

العماد مصطفى طلاس

١٩٣٢

بقلم : محمد غازي التدمري

« ان الشعر مفتاح الشخصية العربية ومحركها الاول ، وان العربي عندما يحاول أن يكون شاعرا ، فكانما يصر على ان يحقق ذاته ويتصل بروح امته على طريق البيان ».
(العماد مصطفى طلاس)

طالما كانت الكلمة سيفا مسلطا على رقاب أعداء الامة ، ومدفعا يهدد كل من تسول له نفسه استغلال خيراتها ، وناقوسا يدق ساعة الخطر ، ينبه الغافلين ، ويبشر بالثورة ويمهد لها .

وعندما تلتقي الكلمة المقاتلة مع السيف الحاد ، في قبضة المقاتل الصلب ، فهذا يعني انتصار للكلمة ، وانتصار للحق وللفضيلة ، والشاعر المرهف الذي ندخل رحاب عالمه الشعري لم يكن غريبا عن الكلمة ، او بعيدا عن السيف ، فقد التحم مع الكلمة المقاتلة واستوطن حد السيف المشهر من غمده ، فكانا سلاحا من اسلحته المدافعة عن الانسان ، من خلال معاناته ، وتجاربه مع الحياة والواقع ، وعلى كافة الاصعدة الاجتماعية والقومية والسياسية والتراثية ، وان كان التأليف وكتابة الدراسات الفكرية عالمه الاول ، فلا يمكننا أن نمضي في رحاب الحركة الشعرية المعاصرة في حمص ، دون ان نتوقف ، ولو للحظات ، عند ابعاد تجربة الشعر عند السيد العماد (مصطفى طلاس) على أن نطيل الوقفة عند ابعاد تجربته النثرية(١) في كتابي القادم (الحركة النثرية المعاصرة في حمص) .

تعود تجربة السيد العماد في الشعر الى ايام الصبا ، يوم كان طالبا في (ثانوية خالد بن الوليد) في حمص وذلك آخر الاربعينات ، حيث كان شغوفا باللغة العربية ، وبالتراث الناصع المشرق ، فتتبع فصاحتها ونوادرها ، لا سيما ما ورد منها في الشعر الجاهلي ، فتكونت لديه ملكة لغوية تراثية تحولت الى قاموس لفظي خاص ، فتح له آفاق الفن فجنح في شعر وفي نثر ، وازدانت المكتبة العربية بمجموعة من المؤلفات القيمة التي ما وجدت لولا دأبه ومثابرته ، لما تضمنته من مضامين عصرية هامة ، لا يستطيع البحث فيها والكتابة عنها ، والتأليف حولها الا من كان قريبا من مصادرها ، ويملك فكرا واعيا واطلاعا واسعا ودراية كبيرة بأمور المنطقة .

وان كانت بداياته الشعرية تعود الى ايام الدراسة الثانوية ، فهي على قلتها وعادية شكلها ومضمونها تدل على تعلق الشاعر بالفن عموما ، ولعل أول تجربة شعرية له ، كانت من وحي فاتنات (حمص) الغافية على كف العاصي ! كعروس من عرائس الايك والخلود ، فقال في احداهن :

« قفي يا ليل لا تبك   فما أشجاك اشجاني
جرحب القلب لو تدري (٢)   بسهم ما له ثاني »

ثم تفتحت مواهب الشاعر في مختلف الميادين الفنية ، بعد ان آمن وأقر بأن : « الشعر العربي مفتاح الشخصية العربية ومحركها الاول ، وان العربي عندما يحاول ان يكون شاعرا ، فكأنما يصر على أن يحقق ذاته ، ويتصل بروح امته عن طريق البيان »(٣) .

ومن منظار هذه الرؤيا الناضجة عمل على خلق أجواء القصيدة العربية السلفية المتطورة والملائمة لروح العصر ، ولظروف المعاناة الاجتماعية التي تعيشها امته .

كنت أتمنى لو تفضل السيد العماد ، ووضع بين يدي معظم آثاره الشعرية حتى تتبلور امامنا تجربته الفنية في اطارها الكامل ، الا أن الابيات القليلة المنشورة في كتابه القيم (شاعر وقصيدة) تدلنا على أصالة واضحة في عطائه الفني ، وعلى قدرة متميزة تملك زمام القصيدة السلفية ، وتتمدد على مساحاتها الفنية ، وتغوص في مجاهلها وتعطي الفن دليل تطوره ، وتمنح القصيدة السلفية فرصتها لان تتطور وتدل على وجودها .

من المنظار الواقعي ، فان تجربته الفنية صادرة عن مخاض وجداني ، حمل مقومات المنطق والموضوعية ، بعد ان حول ذاته الى مصدر خير لموضوع معاناته ، واذا الاثر في النهاية : تعبير ذاتي في شأنه ، موضوعي في نهاية امره ، لما تضمنه من ابعاد ، حملت روح النضال من خلال توازٍ معقول ما بين السيف والعاطفة في سياق تجربة وجدانية صادقة :

« يا صباح الورد ، يا همس الندى
عمرنا ما زال لحنا غردا

يا صباح الورد ، يا عذب اللمى
لؤلؤ الثغر عقيق نضدا

افتكي كالسيف في عاطفتي
لا أحب السيف يوما مغمدا

أنت يا لمياء ؟... شباب دائم
كلما عيدت عاما .. عيدا

أنا نشوان ، فخلي عمرنا
سكرة لا تذكري فيها غدا »(٤)

ان التجانس المعنوي ما بين السيف والعاطفة ، يأخذ بعدا جماليا يتمدد على مساحة التجربة الوجدانية ليعطي كلا من السيف والعاطفة ، بعدهما النفسي من خلال وحدة التضاد اللفظي ، ما بين السيف المجرد والعاطفة .. المعنى والحس .

وشاعرنا المقاتل يضع السيف الذي لا يحبه مغمدا في كفه الصلبة ، ويطوي رحاب تجربة ذاتية ، تؤكد تجانس الضدين في وحدة الاحساس الذاتي ، مستخدما لذلك انسيابا لفظيا واعيا ، متحدا في رتم موسيقي خارجي يضفي على النص أجواء ممتعة .. متراقصة .

ولنسمعه ، يعيد على أذهاننا وحدة التضاد تحت أضواء العاطفة من خلال تقابل السيف مع العيون الدعج في وحدة اللفظ ، والربط بينهما في سياق دائري معنوي ، يتألق الحب النبيل في مركزها ، كأحسن ما يكون عليه من الصدق ، في التعبير والتصوير :

« أنت كالسيف رقيق ناعم
فاتك الحد .. اذا ما جردا

العيون الدعج ما أروعها
جعلت قلبي رمادا أسودا

خمرتي عيناك يا فاتنتي
أعتق الخمر لعينيك الفدا

اشربي نخب لقاء أول
كلما أشرق صبح ولدا

ارفعي الكأس ، سننسى اننا
قد رفعناها ، سننسى العددا

تذهب الدنيا .. وتبقى ساعة
عيد ميلادك فيها جددا »(٥)

يحاول الشاعر أن يترفع بآثاره الفنية ، عن العبث لاتباعه وحدة المنهج الفني ، ومن هنا استقام الدرب أمامه ونضجت الفكرة عنده ، فملك ناحية

الموقف ، وكان سيد نفسه وفنه ، يسيطر على خياله فلا يضطرب ولا يلتوي ، ويستقيم اللفظ بين يديه فلا يتيه عنه ، وينأى بين المسالك والمنعطفات ، يحدوه بذلك سعة الافق والاحاطة بأطراف الثقافة العربية ، لا سيما التراثية منها ، ولذلك عندما عاد الى وجدانه وجد الدافع الذي مده بالرائع من آيات الفن ، فبقي بذات الحالة كلما بزغت على يديه قصيدة جديدة .

ومن هنا .. كانت آثاره عارية من الزيف والاقنعة يشع ويتألق دون لبس او غموض ، يحاول جهده ان يتمرس بفن القصيدة السلفية المحافظة على اللغة والتراث ، وهذا ما يجعله شاعرا في نثره وشعره على حد سواء ، لا تفرق بينهما بتمييز ما ، فيهما نكهة خاصة وطابع بديع ، فهو لا يلقي الكلام جذافا ، وانما يتأنق باختيار اللفظة الواضحة الهادفة ، الهادفة بكل معاني الخير والفضيلة والصدق والجمال، ثم يضعها في مكانها المناسب ، فترى القطعة الفنية ، متماسكة متراصة صافية مصقولة كالمرآة .

ومهما قلت في شاعريته ، فلن اطاول ما قاله شاعر العرب (سليمان العيسى) عن شاعرية السيد العماد حيث خاطبه بقوله : « يا عاشق النغمة الصافية والقافية الحلوة ، على قصف المدافع وهدير المدافع ، يطيب لي في معظم الاحيان ان أقرأ الشعر العربي .

في عبارتك قصيدتك من قصائد الرجولة الحادة كالسيف الشفافة كينابيع الجبل .

انسان بأعلى واجلى ما في هذه الكلمة .

انسان .. ذلك الذي يحن الى قراءة بيت جميل من الشعر ، على قصفة المدفع :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني .. وبيض الهند تقطر من دمي

في عبارتك البسيطة هذه ، رمز لتاريخ السيف والقصيدة في هذه الامة المنكوبة .

أمتنا العربية العظيمة الخالدة .

أمة السيف والقصيدة والانسان .

سأنتظر زيارتك وزيارة الاخوة الذين يصفون دمهم في الجود ، على الارض .. اشارات للاجيال القادمة تقول لهم : هذا هو الطريق »(٦)

محمد غازي التدمري

حمص ٦–٧–١٩٨٠

● من كتاب الحركة الشعرية المعاصرة في حمص والذي سيصدر قريبا عن دار مجلة الثقافة بدمشق

١ – مؤلفات السيد العماد النثرية (حرب العصابات – مختارات – مدخل الى الاستراتيجية الصهيونية – الرسول العربي وفن الحرب – راعي القدس – ذكريات مرة في سجن المزة العسكري – الثورة العربية الكبرى – سيف الله – الكفاح المسلح – جبهة الصمود في مواجهة معسكر داوود – الثورة العلمية والتقنية – شهيد القدس – فارس الجزائر – الثورة الجزائرية) .

٢ – هكذا قال يومذاك والصواب : (نورين) وله اسوة بالشاعر الجاهلي (طرفة بن العبد) اذ قال في عهد قرمزقه يخاطب قبره : « قد رفع الفخ فماتخدري »

٣ – من كتاب : شاعر وقصيدة للسيد العماد صفحة ٢٧

٤ – المصدر السابق صفحة ٤٥٧

٥ – المصدر السابق صفحة ٤٥٧

٦ – المصدر السابق صفحة ٣٥٤ – ٣٥٥

الأدب في المهجر الأمريكي الجنوبي الحديث

الكاتب * نوّاف حردان

بقلم : نعمان حرب



نواف حردان

قضيت في مدينة سان باولو ، أكبر مدن البرازيل ، شهرا كاملا اتنقل بين ارجائها الرحبة ومرابعها الغناء ، وحدائقها الجميلة الفتانة ، واشاهد الناطحات الشامخة والقصور العظيمة ، والملاعب الرياضية والابنية الاثرية ، وكلها تثير في النفس الاعجاب ، وفي القلب الحنين والشوق ، الى الغوطتين وبردى ، والى عاصمة العروبة ، دمشق قلب العروبة النابض . ولا ابالغ اذا قلت ان الحيا تتساوى وتتشابه في « سان باولو » وفي « دمشق » هنالك تتدفق البطولة والرجولة ، وهنا يبلغ صوت العروبة السماء ارتفاعا وعلوا . وهنالك شعب عربي مؤمن بقوميته العربية ، مؤمن بوحدته الكبرى، مؤمن بمعركته المصيرية التي يخوضها . على كافة الاصعدة والمستويات . وهنالك شعب عربي اصيل ، تفيض منه أنهار النخوة والوطنية والرجولة. ويحمل على كتفيه وفي أعماق انفاسه آلام الامة العربية وأحلامها . هنالك ملايين من العرب وفدوا الى البرازيل منذ عشرات السنين ، فاجتمع شملهم تحت راية العروبة ، ووحدت صفوفهم القومية العربية ، واضفت عليهم لغة الضاد وشاحا متينا من التعاون والمحبة والاخلاص .

ويتبوأ العرب في البرازيل مركزا رفيعا في كافة الاصعدة الرسمية والشعبية والاقتصادية والثقافية . فمنهم حكام الولايات المنتخبين من الشعب انتخابا مباشرا ، ومنهم الاعضاء البارزين في مجلسي الشيوخ والنواب ، ومنهم أصحاب الشركات والمؤسسات الاقتصادية ، ومنهم أصحاب الاندية الاجتماعية والثقافية . ومنهم أصحاب دور العلم ، واصحاب الملاجيء الخيرية . ومنهم المحامون البارعون ، الذين تشهد لهم محاكم البرازيل على أنهم من أساطين القانون .

ولم يتخل العرب عن لغتهم العربية فأنشأوا الصحف اليومية ، والمجلات الاسبوعية والشهرية ، حيث كانت تنقل عبر البحار والمحيطات روائع الشعراء وبلاغة الكتاب وأقوال الادباء والمفكرين وقد نبغ منهم الكثيرون ، وكانوا بحق شعراء القومية العربية في بلاد المهاجر . وأدرجت أشعارهم في مناهج التدريس الرسمية .

البرازيليون يحبون الشعب العربي ، ويؤيدونهم في كافة القضايا المصيرية ، ويرعون بعناية واهتمام مطالب العرب ، ومقاومتهم الاستعمار والصهيونية . ويحترمون ويقدرون مؤسساتنا الرسمية في

نعمان حرب

سان باولو وفي مقدمتها القنصلية العربية السورية والمركز الثقافي العربي السوري . وهذه المؤسسات العربية السورية أصبحت قبلة انظار العرب والبرازيليين وموضع ثقتهم واحترامهم ، ومحل لقاءاتهم واجتماعاتهم في كل مناسبة قومية أو ثقافية او اجتماعية . بفضل كفاءة واخلاص القائمين عليها .

هذا غيض من فيض مما رأيته في البرازيل . سجلته بايجاز في هذه المقدمة كي يطلع عليه المواطن العربي السوري ، ويعرف مدى النجاح العظيم الذي حققته البعثة السورية في البرازيل ويعرف أيضا مدى النجاحات الكبيرة التي حققها المهاجرون العرب في كافة الميادين .

ان رجال الاعمال والاقتصاد العرب كثيرون في البرازيل ، وقد بلغ الكثير منهم القمة ، وأصبحوا يشكلون الغطاء التجاري والاقتصادي في البلاد

قلت ان العرب لم يتخلوا عن اللغة العربية . وبقيت منارة الادب والشعر وهاجة في البرازيل . هذه المنارة التي أضاء شعاعها القروي وفرحات وآل معلوف وغيرهم ممن تفوتني اسماؤهم من عظماء الشعراء ، وكبار الادباء والكتاب . أجل بقيت منارة الادب والشعر وهاجة في البرازيل ، ترسل أشعتها الى كافة انحاء المهاجر والى الامصار العربية . ويلتف حول هذه الشعلة ، الشعراء والادباء والكتاب والصحافيون .

لقد تعرفت على أفراد هذه الفئة المختارة من ابناء العروبة ، وهي تحمل لواء الادب والشعر ، وتحافظ على مكانة الحرف العربي ، وتحرص على بقائه وديمومته في البرازيل ، وارى من واجبي ان أقدم لابناء وطني على صفحات مجلة « الثقافة » الغراء الملامح البارزة في ادب وشعر أفراد هذه النخبة ، واستميح أصحابها عذرا اذا ألما اوجزت أو سهى عن بصيرتي انجاز او وصف ، او كان هنالك خطأ في دور ورود الاسماء وترتيبها .

نواف حردان صاحب جريدة « الانباء »

في مقدمة ادباء العرب في البرازيل . فهو صحافي وطني ، وكاتب اديب ، وروائي كبير . عبارته طلية وأسلوبه الادبي من السهل الممتنع . ويتسم مقاله السياسي أو الادبي أو الاجتماعي بالطابع الادبي ، والبيان الساحر . تشعر وأنت تقرأ مقاله الصريح في السياسة ، انك تقرأ ايضا قطعة ادبية غنية بالصور الادبية ، زاخرة بالافكار التقدمية . ويصدر جريدة « الانباء » باللغتين العربية والبرازيلية منذ اثني عشرة سنة . وقد كانت تصدر في سنواتها الاولى يومية ، ولكنها أصبحت في السنوات الاخيرة تصدر اسبوعيا ، وبثماني صفحات ، لان القارىء العربي أخذ يغيب تدريجيا بسبب وقف الهجرة العربية الى البرازيل . وتتبع الجريدة في منهاجها وخطها السياسي خطا مستقلا ، وتعتبر نفسها منبرا حرا لجميع العرب ، وصوتا داويا في المهاجر ضد الامبريالية والصهيونية ، ولها جولات واسعة في الدفاع عن قضية فلسطين . ولا تدخل في أي صراع سياسي بين أي قطر عربي وآخر . ويلمس القاريء من سطورها ، اهتمامها الاولي في قضايا القطر العربي السوري والدفاع عنه ضد الهجمات الاستعمارية .

نواف حردان له خبرة واسعة في جميع البلاد العربية فقد زارها كلها ، واجتمع الى ملوكها ورؤسائها والتقى باحزابها وهيآتها ، وحضر أكثر المؤتمرات القومية التي كانت تعقد في الاقطار العربية . وبذلك أصبح موسوعة عربية كبيرة تزخر بالمؤهلات والخبرات السياسية والاجتماعية . وهو الكاتب والروائي ، والاديب ، ناقد اجتماعي ومصلح كبير . وله جولات واسعة ونقدات لاذعة حول الرواسب الباقية في مجتمعنا العربي . وقد اصدر عدة مقالات نشرت في جريدة « الانباء » ومجلة « الرابطة » و « سورية الجديدة » . ويعود تاريخ نشرها الى عدة سنوات . وتدل هذه المقالات التي جمعها في مجموعة واحدة سماها « المهجريات » على قلم سيال وفكر ثاقب ، وخيال خصب ، كما تعبر عن آرائه وافكاره السامية ، وايمانه بالمثل العليا ، وارتفاعه فوق الاهواء والاعاصير واليك نموذجا من رؤية نواف حردان وفكره ، وايمانه بالكلمة الصادقة :

أؤمن بالكلمة

أؤمن بها تنصر الحق وتخذل الباطل

والحق لا يكون طائفيا او اقليميا . . او انعزاليا . . بل مجتمعيا . . للمجتمع كله في مختلف الفئات والعناصر التي يتكون منها .

أؤمن بالكلمة . . تزرع الخير وتبذر المحبة . تحصد الشر وتجتث التفرقة وتكافح الطائفية . . واحترمها واخشع أمامها وانحني . . كأني في هيكل او امام محراب .

وطوبى للكلمة عندما تكون مسؤولة تحترم نفسها . . ترشد ولا تضلل . . تجمع ولا تفرق . . رصينة صادقة لا تخدع . . ولا تتزلف ولا تجالي . . ولا تحرق البخور ولا تدغدغ الغرور .

الكلمة الواعية المؤمنة .. مسؤولة هادفة بناءة. كبيرة هي .. مصارعة شجاعة .. عملاقة جبارة .. تقطف حروفها .. من حق ووعي وادراك وتصميم تسخنها على نار الايمان وتضيئها بنور الاخلاق .. كي تتوهج وتسطع .. وتشع في حالكات الليالي ، وامام ثقيلات الشدائد والكوارث .. وسود الدياجير.

أؤمن بالكلمة الواعية .. سلاحا بتارامشحوذا من اسلحة الفكر .. يدمر لكي يبني حصونا ومعاقل وقصورا شامخة باذخة غنية للفكر .. بدلا من أكواخ الجهل ودكاكين الطائفية ، ومغاور التأخر وسراديب الحقد ، والجمود والكراهية والعهر .

أؤمن بالكلمة العاقلة المخلصة التي تلقي سيفا مقحاما قطاعا لماعا .. يبتر الرياء والزلفى والحقد والطائفية والنميمة من بيننا .. ولا تلقي سلاما مصطنعا زائفا .. مشحونا بالبغضاء الدفينة ، والقبل الاسخروطية والعناقات الكاذبة والزلفى . والابتسامات المدروسة الخادعة الخؤون .

أؤمن بالكلمة القاسية احيانا .. الموجهة المريرة النصوح ، على ما فيها من وخز وتوبيخ وقساوة ومرارة وألم .. الكلمة المريرة العاقلة الطالبة الحوار الباحثة عن الحقيقة ..وانبذ الكلمة المنافقة التاجرة التي تساير الفساد وتتساهل مع الجهل ، وتغازل الفوضى ، وتتحبب للطائفية وتغذيها ، وتتملق الاثم والفرور .. وتشعل النيران من اجل مصلحة فردية او طائفية او عشائرية .. زرية مجرمة زوراء .. ملطخة بالدماء .

ومن أقوال حردان عن فلسطين :

فلسطين لنا .. غالية عزيزة حبيبة على قلوبنا يجب ان تعود لنا او يبقى العالم كله مضطربا محموما مهتزا مترجرجا الى الابد. لن ندع العالم يهدأ ويستكين قبل ان تعود الحقوق لشعب فلسطين لانه عندما تبقى فلسطين جريحة .. تبقى العدالة كلها في العالم جريحة متألمة .

نواف حردان الروائي الكبير

أصدر نواف حردان عام ١٩٧٠ ، رواية تاريخية كبيرة مؤلفة من جزئين تبلغ صفحاتهما ٦٦٧ صفحة من الحجم الكبير اطلق عليها اسم « حفيد النسور » وهي رواية تاريخية تبدأ حوادثها في مدينة قرطاجة على شاطيء افريقية الشمالية ، مع بطل الرواية حفيد هاني بعل ، اكبر نابغة حربي في التاريخ .. وتنتهي الرواية بحرق المدينة ، كي لا تدوس تربتها المقدسة أقدام الغاصبين .

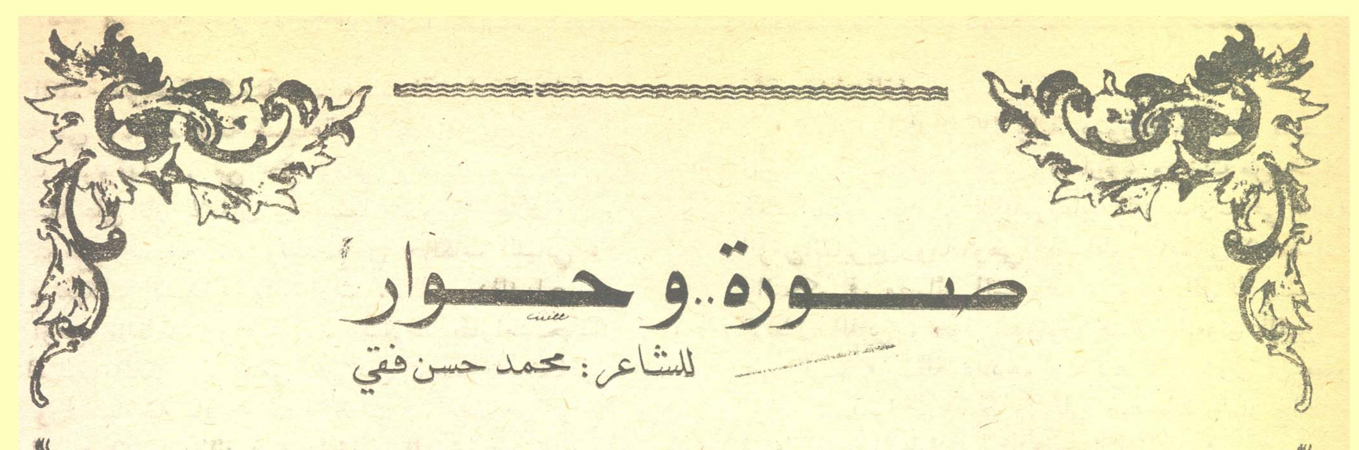
ادوار واحداث الرواية صورت بريشة فنان بارع ، وكتبت بقلم قوي العبارة ، وبرزت من خلال هذه الصور الرائعة : الصراعات التي دارت في ذلك الزمن الفابر بين رومة ، وهي الامبراطورة القمة في الاستعباد والتحكم في مصائر الشعوب ، وبين القرطاجيين الابطال الذين وقفوا يحاربون هذه القوى الكبيرة ، على الرغم من قلة عددهم وعددهم ، دون ان يهنوا أو يستسلموا . وسطروا على صفحات التاريخ القديم اسطرا من البطولات والتضحيات النادرة .

لقد وفق نواف حردان في انتقاء الفكرة ، وفي ربط عرى التاريخ القديم بحاضر الاجيال المعاصرة . كما وفق في الاسلوب وعرض الاحداث ، واثارة شعور القارىء واحاسيسه حتى يصبح وكأنه جزء منها ملتصقا بها التصاقا روحيا وفكريا .ولايستطيع الانفلات منها حتى يأتي الى نهايتها ، ويعرف نتيجة ابطالها . وكانت اهداف هذه الرواية واضحة تبرز على صفحاتها ، ومن بين سطورها الحرب المدمرة التي وقعت بين السوريين واليهود . وكيف انحازت روما لليهود وقدمت العون لهم . وكيف انتصرت سورية انتصارا ساحقا على اليهود ، بقيادة ملكها الشجاع انطيوخس الرابع .

وجمع نواف حردان في روايته التاريخية الكبرى اجمل صور الادب العربي ، من سحر في البيان ، ورشاقة في الاسلوب ومتانة في الجملة . ورسم أجمل لوحة يرسمها فنان ، كي ينفذ منها الى اعماق البشر ويمتلك بها قلوبهم وافكارهم . واعاد الى فكر وذهن الانسان العربي ذكريات مجيدة ، وبطولات خارقة وتضحيات فريدة .

وهذه المأساة التي انتهت بها الرواية عندما احرق القرطجانيون مدينتهم ودمروا معابدها وهيكلها ، واشعلوا النار فيها كي تلتهم جثثهم . فلا تدوسها اقدام الغزاة ، ولا تذل رجالها وفرسانها ، لاكبر مثال في التضحية والفداء ، وفي مواقف العز والاباء . فلتذهب المدينة ، وليبق ابن قرطاجة عزيزا شامخا ، تلتهم النار جثته ، ولا تمسه يد الغاصب الدخيل . وهذه سمة الابطال الاسطوريين الذين يصونون حدودهم ويحافظون على سيادتهم واستقلالهم . فتحية تقدير واعجاب للاستاذ نواف حردان .

السويداء : نعمان حرب



صورة .. وحوار

للشاعر : محمد حسن فقي

مجد الله . ما أظن الاباطيل ستغني عن قائليها فتيلا !
مجد الله . قد تماديت في الغي .. ومهدت للغواة سبيلا !
ما الذي فيك تستعز بمعناه .. ويضفي عليك ظلا ظليلا !
كل مافيك يدفع الناس للمقت .. فأقصر عن الهراء قليلا !
حاورتني نفسي عليك .. وما أقسى حوارا يكون عبئا ثقيلا !
قلت يا نفس أغفليه .. فقد كان على العالمين شرا وبيلا !
ينضح الحقد من خوافيه ما ينجى عدوا من سمه .. أو خليلا !
ولقد يخدع الجهول فيطريه .. وقد ظن ملحه سلسبيلا

• • •

كم عقود من الزمان تصرمن عليه .. وما يزال عليلا !
أيها السذج الذين تطلعتم اليه .. لا تطلبوا المستحيلا !
ليس فيه يا قوم ما ينقع الغلة منكم .. ولا يرد الجميلا !
صرت من فرط نقمتي من نوازيه .. أظن الشدو الصدوح عويلا !
فاتركوه الى المقادير ما ترحم من عاش في الضلالة جيلا !
فستطويه في غياهبها السود .. وترمي عن رأسه الاكليلا !
وستبديه للانام قصيرا بعد أن ظنه الانام طويلا !
واستبيني هذا الذي خادع الربع .. واشقى بالترهات القبيلا !

• • •

ان بعض الفضول يا نفس قد يضجر .. حتى نرى الحياة فضولا
والذي أبدع الحياة وأسداها الينا .. يأبى علينا الخمولا !
ويريد الحفول منها .. وما تلقاه الا بنا الحياة الحفولا !



أيشيح الاحياء عنها ؟ فما تعـ ... طي ثمارا .. ولا تطيب فصولا ؟!

فاستقيمي على الطريقة يا نفـ ... س .. لئلا يغدو النشيط كسولا !

لا تكوني الحرون – ان حصحص الحق – وكوني – اذا دعاك – الذلولا !

واذا أعرض الجهول فقولي ... واحمدي الله – ما أضل الجهولا !

فسيجني اعراضه الخسر والهو ... ن ... وينعي – بعد الفوات – الطلولا !

● ● ●

واستدارت اليّ نفسي وقالت ... أيها الدرب .. ما أعز الوصولا !

أنا أخشى على كلينا من العجـ ... ـز .. وأن يصبح المشوق ملولا !

فالهدى شرعة تشق على النفـ ... ـس .. سوى أن تكون نفسا بتولا !

إن تطيق الجبال منا اقتحاما ... هينا مثلما اقتحمنا السهولا !

● ● ●

فاذا ما أدلهم في وجهنا الدر ... ب .. وعاق الظلام فيه الفحولا !

وتهادت به الوعول .. فلن نحـ ... ـجم عنه حتى نغيظ الوعولا !

فكلانا مصمم راسخ العز ... م .. يود السرى، ويأبى القفولا !

وكلانا ان قال لم يثنه الفعـ ... ـل .. والا فانه لن يقولا !

● ● ●

وانتهينا من الحديث .. فما أعـ ... ـذب ما قلته .. وقالته نفسي !

ليت بعض النفوس ينأى عن النا ... س .. وان كان ذا يراع وطرس !

ما الجدا منهما اذا لم يضيئا ... من دجانا دروب فكر وحس !

بعضها لا يضيء الا دروبا ... ليس تفضي الا لظلم وبؤس

ولقد نؤثر الظلام على النو ... ر .. اذا جرنا لخوف وتعس !

● ● ●

شد ما أمقت الهوان وأخشا ... ه .. ولكن لم أحن للخسف رأسي !

فاسقني يا نجي روحي بكأس ... برئت من حباب ختل ودس !

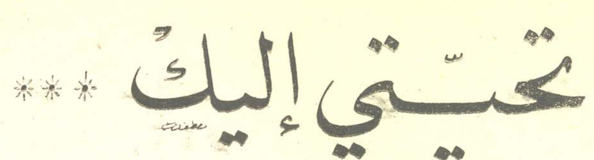
لا الحميا .. ولا الندامى يشيرا ... ن هوى زاهد بمجلس أنس !

● **محمد حسن فقي** ●

جريدة المدينة المنورة ٥ محرم ١٤٠١ هـ







تحيتي إليك ***

للشاعر : انور الجندي

الى صديقي الشاعر محمد منذر لطفي جوابا على هديته الرائعة

غنيت ، فالتفت الزمان وسعى اليك الفرقدان
وشعرت أني خالد وعرفت اني غير فان
وتلمست يدي الجنان ، وأنت ملحمة الجنان
وتحلقت حولي النجوم ٠٠ وقبلتني نجمتان
واذا العوالم كلهن قصيـــدة في المهرجان

★ ★ ★

يا شاعر الوتر المضمخ بالاغاريد الحسان
ألبستني ثوب الخلود ، وهجت بالنغم الكمان
لك ما تريد ، فلن أجف كما يجف الاقحوان
سأعطر الدنيا بألحان المحبة والحنـــان

★ ★ ★

يا شاعر الوتر المغمس بالهنيهات اللدان
أسكرت قلبي بالخمور ، فأين أين فم الدنان ؟
وتبرج الالق المدل ، وهز مقلتي افتتان
حسبي وحسبك ان تموت وفي الشفاه قصيدتان
تترنحان هوى ونسكب فيهما عبق البيان

★ ★ ★

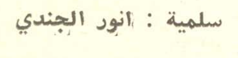
نحن المواويل السخية بالندى ، والعنفوان
نشدو فينتفض الربيع ويستفيق البيلسان
ويغرد العصفور مخمورا ويذهل عاشقان
وأنا ، وأنت ، قصيدتان شهيتان ٠٠ جميلتان
أو بسمتان طريتان ، وهمستان نديتـــان
ينساب في دمنا « الوليد » ويستحم « الاخطلان »

★ ★ ★

مهلا « أبا تمام » أخجلت المضيع في الرهان
وغمرت قلبي بالمحبة ٠٠ والمودة ٠٠ والأمان
فاليك وحدك شكر محزون يضيق به المكان
لا يستريح من الهموم وطارق يده العنان
وتلفتت عيناه ترتعشان ، بل تتساءلان ٠ !
أين الاحبة والملاعب والجداول والقيان ٠ ؟
وعشية هي والحبيبة وردتان حييتان ؟ ٠
نامت ٠٠ ونام المرجفون ، ولم ينم زمن جبان
فتبددت تلك الرؤى وتناثرت قبل الاوان

● ● ●

عذرا « أبا تمام » عذر الود ، لو عجز البيان
ما لان قلبي للعذاب وللشقاء ، ولا استكان
لكنه الحسن العميق وهمسة : كانت ٠٠ وكان



سلمية : انور الجندي



الجفاف

«في محراب الحقيقة»

للشاعر : اسماعيل عذرة

الى الدكتور جميل علوش وقصيدته « الى غالية » المنشورة في «الثقافة»

الدمشقية ـ كانون الاول ١٩٨٠

لا تسلها ، ان نأت عنا فانـا ... نحن أطفأنا الشعاع المشرقا

فغدا القلب يبابا معتما ... بعد أن كان السحاب المغدقا

أقفر الروض وجفت ادمع ... واستحال الشدو نايا مقلقا

فركضنا ، والدجى يعدو بنا ... نقطف الورد ونجني الزنبقا

فظننا أننا نجني .. المنى .. ... أو علونا ، فبلغنا الافقا

ما حسبناه ، ظلام بلقع ... وسراب في الدجى لـ[ن] يبرقا !

كيف نرقى ، كيف نستاف الهوى ... والهوى يغفو شعاعا محرقا ؟!

لا تسلها ، ان نأت عنا فانا ... نحن أطفأنا الشعاع المشرقا ،

وبرحنا الحقل قفرا موجعا ... وتركنا الروح لحنا مشفقا

قد عشقنا الورد حقلا ممرعا ... وظنناه ربيعا مونقا

فاذا الورد صباح ذابل ... بابه أضحى سرابا مغلقا !

ان اردت الحب لحنا سرمدا ... يفتن الدنيا ، يغني الالقا

فاعشق الروح السماوي الذي ... من يذره : هل له أن يعشقا ؟!!

في ظلال الروح تسمو أنفس ... ويطل الحب نجما محدقا

فاذا ما أعتم العقل ضحى ... فاضت الارواح موجا أزرقا !

يا ظلال الروح ، اني عاشق ... رفة الروح ، وخمرا .. عتقا

أسقنيها ، أيها الهدب منى ... يشرق القلب سلاما وتقى

ويقيم الخصب ريان الثرى ... ويموج الدوح طهرا مورقا !

في سفوح الايك أمضي باحثا ... لا أبالي ما يكون المرتقى ،

عل نفحا من سماوات علا ... يصطفيني في شذاه : عبقا !!

آه ، كم أهفو لذياك الحمى ... ولقاء ، كان أحلى ملتقى

يا رعى الله حمى .. أنزلته ... منهلا عذبا وماء رقرقا

تسجع الطير على أفنانه ... فتجود الروح قربا ولقى !!

يا ظلال الروح ، اني هائم ... في نجاواك .. رقيقا شيقا

ان حرمت القلب من اشراقه ... أعتم القلب وعانى الارقا ،

أو حكمت بالنوى بعد الهوى ... عادت الدنيا شعاعا محرقا !!

سلمية : اسماعيل عدره

قصائد لوفاء علي

دعني لهذي النار

أسرفت في هجري ، وفي صدي
يا منيتي ، يا كل ما عندي

أمعنت في تمزيق اشرعتي
وطويت من أفق المنى بندي

أتثير عاتي الموج يصرعني ؟؟
وتساعد الارياح في هدّي ؟؟

الوجد في قلبي ، اوتبعدني ؟؟
عن قلبك الريان .. بالوجد !

ألصيف ..! وهج الصيف يلفحه !!
ويداك ظل الدوح والورد

★ ★ ★

لا تطفيء النيران في كبدي
لا تمسح الاحزان عن خدي

دعني لهذي النار طاغية
ترتاح في صدري وفي زندي

آمنت بالهجران يوسعني
قهرا .. ويقتلني على عمد

★ ★ ★

غادرتني حيرى .. تجاذبني
نار الوعيد .. وكاذب الوعد

أنا لن أكون بعيدة أبداً

وهواك اني لم أطق بعدا
فالجرح أشعل بعدما همدا

لا الدمع أطفأه ولا جلدي
طورا يشب وتارة يندى

الجرح أضناني ولا حيل
وأظل وجدا لاحقا وجدا

لم أدر كيف أصوغ بلسمه
وأقيم من ولهي له حدا !





أأموت في جرحي ليحرقني وهواك كان ولم يزل بردا ؟!
لا .. لن أموت وأنت في رئتي أنشودة .. ونسائم أندى
سأعود ثانية .. وثانية — أنا لن أكون بعيدة ابدا —

عباءة

تموجي .. تموجي أغصان حبي وانسجي
« لهاجري » عباءة من ثوبك البنفسجي
وزيني اطرافها بحمرة التوهج
وزوديها نفحة من عطرك المؤرج
ولفحة من أضلعي من خافقي المؤجج
وكل ما تحوي الدنى من فتن التبرج
حتى اذا ما اكتملت وحيدة النموذج
لفي بها أعطاف من تفديه كل المهج
ثم اقطفي لي وردة من خده المضرج

اهواك ما دامت ترفرف نبضة

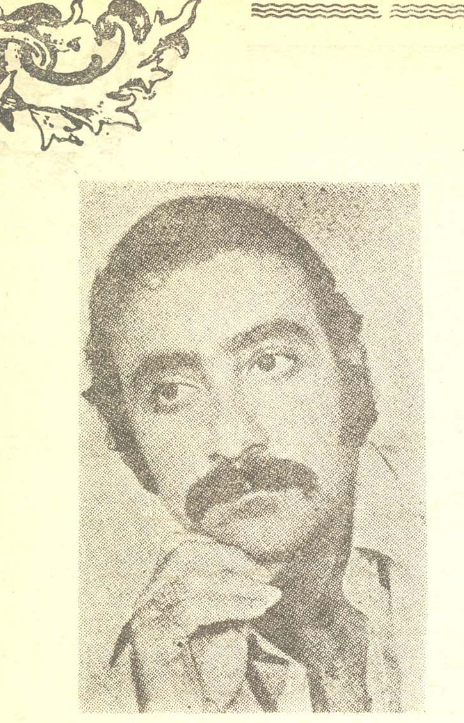
لا الدهر يبعدني ولا الايام لا القهر .. لا التعذيب..لا الآلام
لا صرخة الاقدار في أذن الوفا لا قبضة الطاغي .. ولا الاصنام
أهواك ما دام الربيع مواسما للزهر .. والشام الحبيبة شام
أهواك ما دامت ترفرف نبضة في خافقي .. وتزورني الانسام

وفاء علي



منابت الشعر

للشاعر : جورج يوسف شدياق



(هدية الى صاحب ديوان « يا ليل » الاستاذ مدحة عكاش)

اعدت لليل بعد النسي معناه ... ورحت تبعث عبر الشعر ذكراه

فصفقت أكؤس السمار من طرب ... واضج من نشوة .. الناي والآه

لما اطلت عذارى الشعر باسمة ... هام الجمال بها .. واهتز عطفاه

عصارة القلب ،! ذابت في قصائدكم ... فضمها الليل شوقا في حناياه

هات القوافي..وخل الحرف يسكرنا ... فالقلب لا يرتوي مهما سقيناه

يا ليل .. كم عاشق جفت مدامعه ... وتحت سترك تندي الحب عيناه

صبا اليك ، وفي عينيه عابرة ... من الهموم .. وفي جفنيه نجواه

تبسم الليل من شعر ومن غزل ... لما سفحت له روحا لترعاه

سكبت نورا مصفى عند ضفته ... وذلك النور من عينيك مأتاه

عبقت بالعطر والاطياب ظلمته ... فعاد قيس الى محراب ليلاه

جادت قريحتك المعطاء باذلة ... تحنو على الشعر.. يرعاها وترعاه

هذي القصائد ما زالت منمقة ... ما نال ـ رغم المدى ـ من حسنها الجاه

لا يورق الشعر الا في منابته ... ولا يطال السما الا بسقياه




الشعر قلب .. واحساس، وعاطفة لا طلسم يفقد الابداع معناه

الشعر أصبح بعد اليوم في خطر من ينقذ الشعر .. ان الهذر أضناه

يكاد يفقد - عن جهل - أصالته وأصله الضاد ، لا مما اقتبسناه

اين الجمال الذي اندى قصائدنا ان النزوع الى التجديد أعماه

عودوا الى الاصل يا افلاذ امتنا ففي الاصالة فن قد الفناه

سل المنابت والتاريخ عن أدب صافي البلاغة .. معناه ومبناه

تسنمت سدة الفصحى روائعه ولم تزل تذكر الايام مسعاه

من خلد المتنبي بعد صولته الا البيان الذي عنه ورثناه

لم يعرف الزيف يوما في بلاغته ان البليغ لدى الابداع احياه

هل أذنب الشعر .؟ وهو السيف في يدنا أدى الحقوق غداة الحق ناداه

ام انها خانت الفصحى روائعه حتى صلبنا على التضليل فحواه

★ ★ ★

يا شاعر الليل، هذا الشعر نعرفه فيه من الفن ماوشى سجاياه

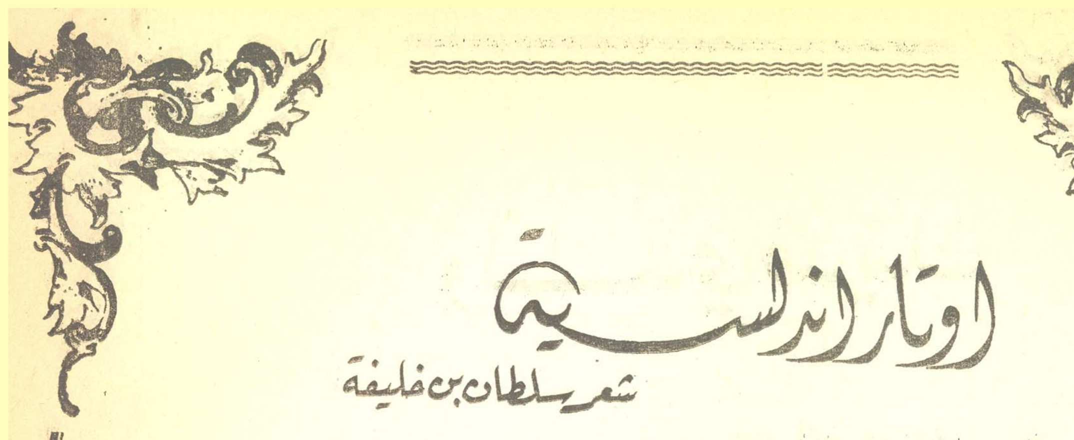
يا شاعر الليل .. ته فوق السهى أبدا فحرفك اليوم في الاكباد مثواه

جورج يوسف شدياق

امين سر رابطة الضاديين

في برسلونه وبورتولاكروس - فنزويلا



اوتار اندلسية

شعر سلطان بن خليفة

يا أرض اندلس يا مجد من ذهبوا ... لم يبق منهم سوى آثار ما رسموا

يا أرض اندلس أين الذين هنا ... كانوا وبالعدل قد سادوا وقد حكموا

أزور ارضك لي في كل ناحية ... ذكرى وذكراك لا تنفك تحتدم

أزورها وبقلبي ألف نائحة ... أبدي التحية والاشواق تضطرم

وزرت قرطبة والمجد كان لها ... تاجا ، عروسا بعز الملك تتسم

كانت منارا لاوروبا بكاملها ... الكل يعرفها - ايضا - ويحترم

وزرت غرناطة والقصر توجها ... وللحدائق في ارجائها نغم

وللمياه مسيل فاق هندسة ... أنى ذهبت ترى فنا له قيم

وفي الازقة قد قابلت صبيتها ... سيماهم عرب ينقصهم الكلم

ملامح العرب قد بانت بغيدهم ... فالسحر يملؤها واللطف والكرم

اين الملوك وما شادوه من مدن ... وأين امجادهم ، بل أين جندهم

كانوا على صهوات الخيل حامية ... يتابعون مع الاشراق زحفهم

قلاعهم وحصون كان مبعثها ... نور وكان مع الجوزاء عزهم

حموا الثغور وشادوا كل مفخرة ... داست على الظلم والاعداء خيلهم

صهيلها كان في الوديان معجزة ... كانوا أباة وللاسلام هممهم

وأذعن الدهر بل أرخى أعنته ... تحقق النصر وانساقت لهم أمم

أين الاخلاء ابن زيدون قائدهم ... تختال ولادة في الحب بينهم

عبير مجلسها من كل زنبقة ... موائد في فنون الشعر عندهم

هذي ديارهم بالطيب حانية ... فيها الصفاء وعطر الحب بينهم

تحكى الرسوم عن الاجداد قصتهم ... تحكى ويؤلمني لو ينفع الندم

دخلت في زمرة السياح يشرح لي ... بالاعجمية عن أمجادهم عجم

صرخت يا هل ترى لم يبق من احد ... يضيقني ويدليني بمجدهم

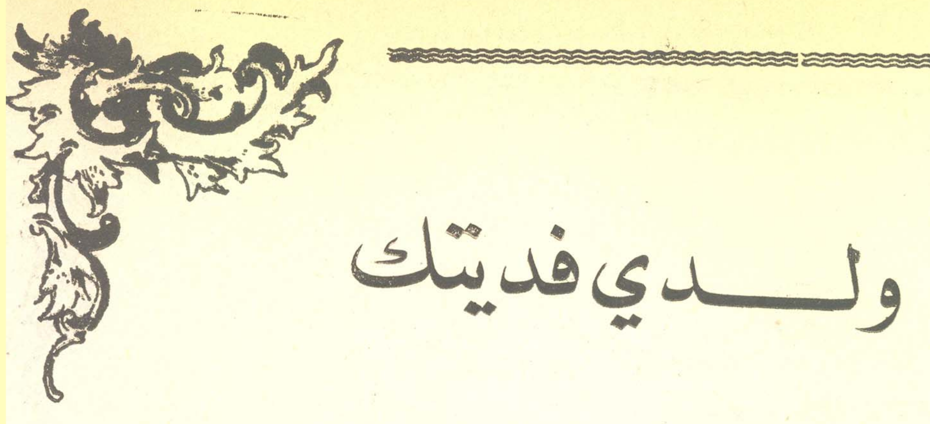
لا لست أحتاج فالفصحى هنا نطقت ... لمست ما خطه الرسام والقلم

عرجت انبش في الحيطان أسألها ! ... متى ، وكيف، لماذا ؟ يا ترى انصرموا

ردت علي رسوم الدار هازئة ... ذكراهم بقيت لله درهم

مضوا ومر مع التاريخ واندثرت ... حضارة سجلتها الكتب والرسم

● سلطان بن خليفة




ولـــدي فديتك

شعر المهندس صدوق صافي

أطفالنا ، والبيد في عمرنا ، ... من حولنا خمائل غرد

فيَّ ظلهم يا همنا الهرما ... أقصر ، وعنا كف يا وجد

الطفل ان غنى وان لعبا ... تصغ الطيور ويضحك الورد

ولدي فديتك مهجة حرى ... وجوارحا للضم تمتد

اني أعيذك نظرة غدرت ... عين الاذى تنأى وترتد

اما تغيب فجمرة عصبي ... حتى تعود فضحكة تشدو

انى انطلقت فلهفة سبقت ... ترعى خطاك ، ونشوة تحدو

واذا وقعت فحبة خلعت ... من الفؤاد ، وشهقة تبدو

الي لاشرب بالقذى جرعا ... ولك القراح العذب والورد

أسقيك من كبدي لكي تربو ... عمري الشتاء وعمرك الوعد

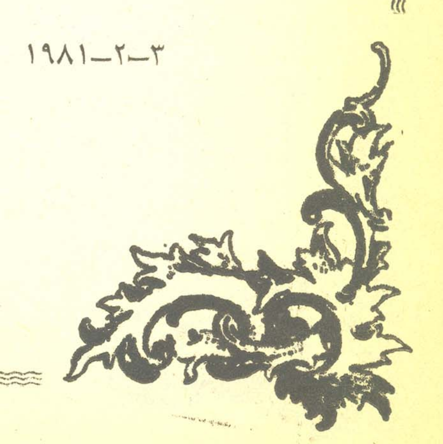
أودعت فيك شمائلا ألفت ... هام الذرى ، بالنفس تعتد

حسبي وجمع الناس قد قالوا ... هذا فتى ، والزند يشتد

٣-٢-١٩٨١

المهندس ـ صدوق صافي

حمص ـ سورية



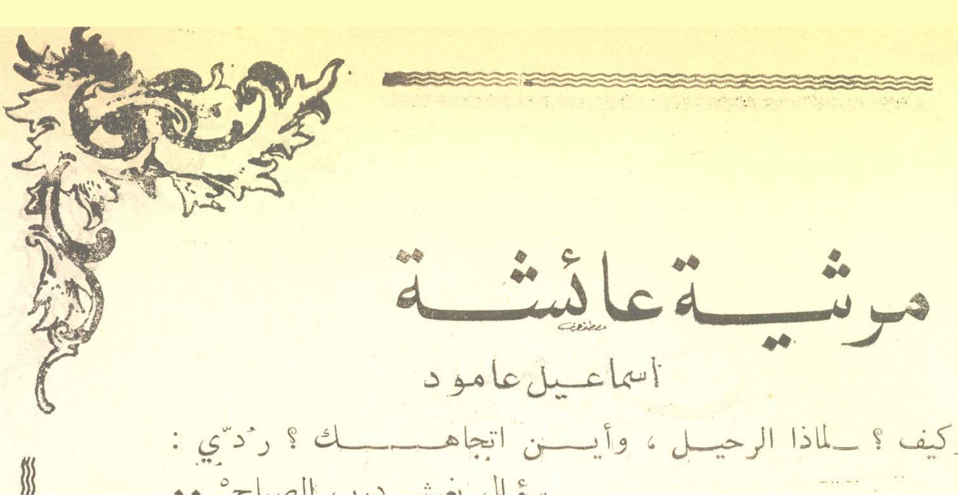

اللاعبات

للشاعر: الغريض

نزلت خولة للساح وقد	أشعل السيف هدوء القمر
تقذف (الفوتبول) مزهوا فهل	سئم (الفوتبول) رفه الزهر
لم يكد يوغل حتى رده	ليد الفتنة شوق الخفر
فهو حينا ثائر ملتهب	وهو حينا في هدوء حذر
وهو كالقلب الذي يقذفه	ألف كف ناعم مختمر
تلك ترميه وهذي تنحني	فوقه كاللحن فوق الوتر
فهو نهب بين هند ومنى	بين عاري الحسن أو مستهتر
يرقص (الفوتبول) نشوان على	كل نهد مشرئب بطر
فاهنأي (يا أم حردا) بغد	مشرق في يد هند نضر
بفريق ترفع الشام به	ألف اكليل الى المنتصر
سمة تغني ذرى غوطتنا	وهي نشوى بشذاها العطر


● **الغريض** ●





مرثية عائشة

أسماعيل عامود

ـ ذهبت .. وكيف ؟ ـ لماذا الرحيل ، وأين اتجاهك ؟ ردّي :
ـ سؤال يغبش درب الصباح ..
وكيف تركت الديار تنوح ، لماذا الفراق ـ اذن ..
فللنجم في الافق نزف" يرمد حتى رماد النواح
ـ لماذا الرحيل ..؟ وكنت لقلبي الحُداء ـ الرنين ،
وعُشاً يمور بأطرى صُداح ..
وكنت السخية ـ كفك قبضة قمح الحقول العذارى ،
وقلبك مدّ الشرايين نسغاً ، تغلغل ، عمق جذر الحياة
بأنبل ساح
وكنت السماحة ، تجلو الهموم الصعاب وتغسل غم الفقير ،
وتضفي الوداعة ، نعمى لنفس براح
وكنت الثريا بأفق حياتي ، وسمتاً أفيءُ اليكِ اذا داهمتني الرياح
وكنت المراح ليمسح عني غبار الزمان ، وشقوة عمري استحالت حبوراً ـ
لديك ـ ودنيا طُماح
وكنت المكان الخضيل ـ الامين ، لسرب حمامٍ بنيك
وكوخاً لانشادهم ـ والسماح
... ليال كما الصحو عبر انهمار الشتاء بقلب الدجنّة ،
ـ كنت ، فما في الديار رداح
وكان حنانك أقصى من الجود جوداً
وأحنى من العطر في شعفات الاقاح
تبثين للواله المستكين حديثاً كأعذب ما في الحكايا
حكايا ، وأبلغ ما في الاساطير قولا يتاح



وتعطين ما في شغافك للآخرين وفاءً كما الغيث يعطي
اليباسَ اخضراراً ، فتَهنا البطاح

• • •

ـ رحلت .. وأين ؟؟ لماذا الرحيل وقد طلع الفجر دامي الجراح
وخلّفتِ عندي عذاب السنين لتنزف في قلبي المستباح
لماذا تركتِ ربوع الاحبة تصفر فيها طيوف الرواح
بنوك الذين تراموا على النعش غماً ، يولول فيهم نشيد الرياح
تراموا .. فيا صرخات اليتامى أفيضي على النعش دمعاً قَراح
أفيضي على الجدث المستريح .. نسيماً يعطر منه الوشاح
ـ ألا تسمعين عويل الفصول .. ألا تسمعين هتاف الرجوع ..
وشهقة أولادنا والصياح
يغصون بالالم المستفيض .. ويرجون لو ترجعين .. ولكن ؟
.. وهيهات ـ يرجع للسرب طير قضى واسترحاح
وهيهات ـ يلحق بالنعش سرب مهيض الجناح

• • •

ـ رحلت ، فهل لفؤادي أن يستريح وهلا لخلك عيد يُتاح
وهل يا بكائي سيأتي الربيع ليملأ أرض الخراب مِراح
فتجري الينابيع في شعبها مرنحة بالليالي الملاح
ويرجع للطير انشاده ليضفي على الغصن شدواً مباح
ـ أظن .. وهذا سراب رهيب يخادع حلمي .. لأبكي الصباح
فموتك جاء على بغتة لاقطع عمري اخدين النواح
وها يا أساي فاتّي أجيء الى قبرك ـ العطر ـ شاكي السلاح
لانشد عندك شعري الحزين وأتلوَ مُصحَفَ ربِّ الفلاح

دمشق ١٣/١١/١٩٨٠
ع٠م « الموقف الادبي »

• اسماعيل عامود •

ظلام أبيض

سها عبد الحميد القضماني

اذكر نكهة الخيبة . انها اشبه بلون العتمة. عندما تضيع قلوبنا بين ضلوعنا تحزم امتعتها وترحل تاركة وراءها شلالا مياهه غزيرة يصب في اناء لا يتسع لاستعياب الفراغ . فينهدر الى الارض ويضيع .

يترك وراءه فراغا ممضا . فيحول بيننا وبين مشاعرنا جدار عال قد يحوي عقيدة تترجم اقدارنا الى حقيقة لامفر منها .

الظلام ابيض مخيف . اغلقت الجدار وراء الضباب الافكار تنساب الى عقلي سراعا وتعود لتتسلل منه الى صمتي . مضي هزيع الستمة الاول .. هزيع فيه أذاب الفجر كيانه . وددت ان أقول شيئا . تلعثمت الكلمات وقد غفلت على لساني .. تأبى ان تغادر فمي فماذا بعد .

لقد سئمت شللها بين أسناني . هنا الفراغ الناضج وهناك الفضاء اليتيم الامل هرب من زنزانة عبوديته فغدا املا طليقا يتمنى ولايتمناه احد .

لقد تخاصمنا وهو بعيد .. ابعد من نفسي اليه : والحرب كانت قاسية فرأيت اطفالا وموتا وحبا .. أحسست بطعم الورق وعقوبة الحرف العذري . فكانت الرواية عفيفة بريئة من عبث الاقلام مثلما اخطها الآن.

لقد احببت قبل ان يوجد الزمن ورأيته بعد هذا الزمن لم اكن اود ان اراه هكذا في ذاك اليوم تركت البيت خفية ورقدت الى الازقة . كنت امضي سراعا حتى وصلت بيته . طرقت الباب فلم يفتحه احد . طرقته بأصابعي وحنيني انه في مخيلتي تحول الى تمثال مهشم الباب مغلق والجدران صامتة . والدنيا ضجيج اخرس . فتح الباب . فتحته يد صلبة ... يد متحجرة دخلت حجرته فرأيت ما فصلني عن كل شيء . عندها احسست اني في الصحراء . ابحث عن كوب ماء يعيد الي عروقي . هل هذا الانسان الذي اراه غير الذي عرفته . تعالت خمرة الفجر في عينيه . وتحجرت دموعه فسالت من عيني الى وجداني ولم تنهمر وقال لي بغضب : ماالذي اتي بك الى هنا ؟ (والحنين يفيض به فينطق بنفسه) التصقت بالجدار علام انا خائفة من انسان اعبده ؟..

صرخت بأعلى صوتي .. صرخة تردد صداها في عقلي وارتدت الى خاطري ولم يسمعها احد . كأن الشوق الذي سال في كل قطرة من دمي سرقته خطواتي ومضيت مترددة والارض ترتعد تحت قدمي وارتميت تحت رجليه المشلولتين عانقته وكرسيه . عانقته وأقدامه المتحجرة . عانقته وقد فقدت فيه الابد وعشقت من عجزه الخلود . عانقني وشدني الى جسده المريض . قلت :

أتيت اليك بعد ان رأيت الاماني تساقط مع المطر لتذوب في باطن الارض . قال لي : كان هذا منذ زمن عندما لم نكن نعي اكثر من اننا نحب! قلت له: لا .. ارجوك . أجابني : بلى علينا الان ان نعاهد هذا الحب على اعتناق النسيان .

ارتعشت .. سالت دموعي بحرقه . ان امي تنتظرني ولقد مضى الوقت لابد أنها الان تفتقد عودتي بقيت حتى العشاء الذي بدا ثقيلا وانا أترقب زجاج الشرفة في ركن غرفة اخرى . بدات الشمس تغرب احسست عندها اني فقدت ايماني لقد شل ولم يعد قادرا على أن يمضي . سيبقى هكذا في ركن صامت من هذا العالم . جامدا كالجدار . متصلبا كقدميه . مسحت دموعه وقد سالت بعد عناء طويل انها المرة الاولى التي اراه فيها يبكي . احسست عندها بأقبح عجز . لم أكن وقتها سوى امرأة فقدت نضجها وصوابها طفلة فقدت طيشها وبراءتها انسانة لاتدرك معنى الالم وتتقن اسرار الضياع . مع اني عندها نسيت الكثير نسيت اسمائي وصوامعي وخصلات شعري واصابعي نسيت الكثير حقا كانت يداي تطوفان على اقدامه اصابعي تتركني اعي ماادري تقسم بان قدميه قد شلتا كنت عندها اضعف من أي شيء اخر حتى ان اصدق تلك الحقيقة لمس خصلات شعري وقبلها مدامعه بللت عنقي وجذور راسي . شعرت عندها رغم صغري ومخاوفي اني قادرة بالحب الذي اكنه ان اطير انا وهو وكرسيه الى ابعد مكان في الارض .

وقلت له : سأعود اليك وسابقى معك حتى النهاية لا اعرف بل لم أعد اذكر ماذا قال عندها. صوته تسرب الى مسامعي تمتمة قبور قد فقدت موتاها كان يرجوني ان لااعود اليه ثانية وانا اعلم مايكنه لي من حب . وقد لمسني عدت الى البيت عدت وانا احمل عبء جسد دفن وروحه في نفسي على قيد الحيـــاة . مضت الايام . مضت طويلا مضت وهي تتخبط بين الحنين والنسيان . دفعني الاختيار لان امضي اليه وهو وكرسيه لا يفارقان مخيلتي والحنين يفيض بي فينفجر في ماقيه التي انجبها الذعر في نبضي وصلت بيته وطرقت الباب ، طال انتظاري خيل الي ان الباب سيفتح عبثا كان الانتظار . عرفت بعدها انه هاجر مع ذوية الى بلاد بعيدة . لماذا رحل ؟ لن يجد وطنا دافئا مثل هذا الوطن . علام نسي ان الحب ان نضج في خلايانا وامتلأ بعروقنا وفاض من أعيننا لن تخمد انفاسه ولن يقتل . فقتله يساوي الجريمة وان تعادل القلب بالاثام فأي فجر ننتظر .

نعم .. منذ قبلني وضمني الى صدره بعنف رغم مرضه . فتلعثم بعنقي وذاب بصدري . احسست انه يودعني لكني ابيت ان أصدق .

لقد هرب من جنوني خيل اليه الايثار في الحب . عدت ادراجي وجنون الامل غدا أشلاء في عروقي تيبست وانهارت . فلم يعد في نفسي متسع للقتلى وللامان . فماذا بعد ..

ماذا بعد الاشلاء والقتلى وحقيقة تنسى .

ماذا بعد الصمت والكتمان والليل وشيء مارحل الى بعيد وهو في اغوارنا مؤمن بالتعاسة . عندها لم يكن في مخيلتي صورة قدميه . اللتين شلتا . بل العالم الذي بدا يضمر حتى اصبح بحجم الارصفة .

وضاعت أنفاس الانسان . انقرض الشجر . انكسر القناع فالحقيقة هرم لايتحطم .. لايتهشم .. يبقى صوته صارخا .. انه البقاء كيف رحل . لابأس فالعجز ان أصاب حبا في قلوبنا . يصبح خيبة مختنقة تعدنا دوما بالفراق . ويبقى حبا نحترق بناره نحترق برمادة ويبقى حبا . يجرحنا ويبكي بمدامعنا وقد يقتل في النهاية . لكنه يبقى حبا .. يتحدى كل القوى وأية طبيعة وكل العقائد . ويبقى حبا .. رحيله اشبه بالسجون المؤبدة للابرياء . لانه في النهاية يبقى الحب حبا .

لابأس لترحل الى أبعد مكان في الارض سأعتاد على الصقيع والظمأ فروايتي معه لم تعد أكثر من امرأة عاقر تعشق الاطفال وليس بمقدورها ان تنجب طفلا اعتادت على عقمها . كتمت كل الوعود وأقسمت لليل طويلا أنه باق في نفسها الى مابعد الابد . ويبقى الحب حبا .

دمشق **سها عبد الحميد القضماني**

جولة الغزل

في حنايا شاعر العاصي: بدر الدين الحامد

بقلم: عبد العليم صافي

في ديوان شاعرنا البدر باب خاص تحت عنوان غزل ولهو من ص ٥٢٩ الى ص ٥٧٠ فيه ما يقارب الثلاثين من المقطوعات، بعضها في مجالس الشراب وأكثرها في الغزل. ولكن لهذه المقطوعات كلها ميزات مشتركة بينها هي:

١ ـ امتزاجها بالطبيعة، والى ما تضمه هذه الام الرؤوم الى صدرها بحنان من كل ما يتناسب مع جو الغزل ومناخ الشراب. ففي التغزل بالثغر والعينين يقول شاعرنا:

لعينيك في طي الفؤاد جراح
وللثغر ريحان يرف وراح

أما الشعر والجبين فهما في رؤية شاعرنا:

ليهنك أفواه الصبا وبروده
لك الشعر ليل والجبين صباح

وأما عذب الحديث من الحبيب فهو كما يقول:

وسقونا عذب الحديث سلافا
مثل قطر الندى صفاء ولينا

أما غصن شباب شاعرنا فهو كما يقول:

كاد غصن الشباب يذبل فينا
أفنرجو الوصال في الاربعينا

وحبيبته يصفها بقوله:

فتانة في رياض الفن مرتعها
تزهى بلدن من الاعطاف ممراح

وشاعرنا يطالع في حبيبه ويسرح منه بقوله:

أطالع فيك أبكار المعاني
وأسرح منك في روض الاماني

وليل شاعرنا وصباحه ونعيم روحه نتلمسه في قوله:

فليلي شعرك الداجي، وصبحي
بياض الجيد في عقد الجمان

فؤادي خافق، ونعيم روحي
مثالك في الخيال وفي العيان

واذا مال شاعرنا مع الهوى فانه يرسمه بقوله:

أميل مع الهوى، فيميل غصن
على قوامه من خيزران

أما بلبل الروضة فلعل غناءه سبيل الى أن يهز قلب من يحب:

بلبـل الروضة غنى لا يكن أطرب منــا
هو يروي الحب عنا فـاذا غنـى فتنـا
أتراه هز قلبـك

وهيام شاعرنا يصوره في قوله :

أهيـم ما بـين عيـون المهـى
وبـين معطار ورود الخـدود

وهو يذكر الثغر البرود بقوله :

ان هبت النسمة صبحا علـى
زهر الربـى أذكرت ثغـرا برود
ولشاعرنا مـع الطير حال نسمعه في قوله :
ولي مـع الطـير نـواح علـى
عهد مضى ، هيهـات أنـى يعـود

وأغانيه الشجية وسيلته الـى من يحب :

يا فلــة الوادي النديــة
يا طلعـة القمـر البهيـه
يا نسمـة الصبـح الجميل
علـى الرياض السندسيه
يا لفتـة الظبـي الغرير
ونفحـة الآس الزكيـه
مالـي اليـك وسيلـة
الا اغانـي الشجيـة

وفي الثغر الشهي ، والقوام المياد يقول شاعرنا :

ثغر شهي كالاقحـوان ضحـى
وقامـة في رياض الحسن ميـاده

وفي عهد الهوى يقول شاعرنا :

يبسـم الورد ناضـرا في رياض
فـوق أغراسهـا يغنـي الحمـام
وذكـاء الصبـاح تسحب ذيـلا
تحت أفواهـه يـرف الخـزام

اما وجه الحبيب فنتملى حسنه في قوله :

وجهك الروض وفيه الورد فواح بخده

وحبيب شاعرنا وخده يرسمهما في قوله :

وأنت ريحاني ما دارت الاقـداح
وخدك القاني ورد عـلى تفـاح

وحسن الحبيب يصفه شاعرنا بقوله :

حسنك الغض خميله أينعت فيها الغصون

أما ضفاف النهر وخرير الماء فهما في قول شاعرنا شاهدان حب يرعاه ومن يحب :

هناك على ضفاف النهر حيث الحب يرعانـا
واذ نصغي فنسمـع من خرير المـاء الحانـا

أما في منحنى وادي حماه فهناك كما يقول شاعرنا:

وفي منحنـى الوادي ظبـاء شوارد
تعلقت منهـا في صباي غزالهـا
وكم جئت أسعى لاثما ترب روضها
وكم كنت أخشى صـدها ودلالها

٢ ـ امتزاج الغزل بالشراب ومجالسه : فأحباب شاعرنا سقوه عذب الحديث سلافا . ولثغر الحبيب ريحان يرف وراح . ولتسل ليلاه نداماه وأقداحه عن هواه ، فهل هو غير الراح . وعينا حبيبته خمـره ، ومسك شرابه اللمى . وبه ظمأ الى ثغر شهي يذكـر خمر الدنان . وهو يسأل حبيبه ان يملأ له كؤوسـه وان يسقيه . وقد سقته حبيبتـه خمرة العينين . وسكره في هواه عادة . وفي ثغرها خمر ، وحديثهايدار منه عليه خمر معتق . وهو في سكرين من خمر وعين. وجنته كأس الحميا . ونعيمه في رضى الحبيب . وقد دفن أشجانه بين هواه وراحه .

٣ ـ امتزاج الغزل والشراب والموسيقى : فعدا عن كون مقطوعات شاعرنا تتفجر بموسيقى تتغلغل فـي الالفاظ والتراكيب والصور ، وعدا عـن كون بعض مقطوعاته يغنى ويطرب ، فان معانيه في غزلـه ولهوه بتعابيرهما وأوصافهما وتراكيبهما وصورهما تمتزجان بالموسيقى والغناء . كما يستعير شاعرنا تعابـير الموسيقى والغناء ليؤدي بهما كثيرا مما يريد . فلولا

حبيبته لم يحفل بما في الندي من صوت وأوتار . ومن محياها يستوحي شاعرنا نغمة وينشد في معناهـــا أشعاره . والعود ينفي في رأي الشاعر الشجـــون . وحبيبته تهز أوتار القلوب برنة هي السحر ، أو فيها رونق من السحر . واذا غناه الحبيب لحنا شجيا رأى جلال الحسن في محياه .

٤ — يفتن في غزله بحديث الحبيب ، ومعانـــي الجمال . وسحر العيون وبالقصص الحلو عن ذلـك كله . فأحبابه أروه بلحاظ العيون سحرا مبينا . وفي حديث الحبيب بيان مشرق ، وحديثه تعلة الشاعر . وحبيبه وحي الجمال وسحره . وهو يطالع فيـــه أبكار المعاني . وفي حديثه نشوة عبقرية . وصوتـــه سحر . ورأى جلال الحسن في محياه . والحب أماني والحبيب روحها .

وكخلاصة لكل ما قدمناه فدعونا نستمتع بقوله :

حملونا عبء الهـوى ونسونا
ما عليهـم لو انهـم ذكرونا

نحـن منهم علـى خيال مقيم
يبعث الوجـ دوالصبابة فينا

ان جنحنا الـى السلو أرونـا
بلحـاظ العيـون سحرا مبينا

وسقونا عذب الحديث سلافا
مثـ لقطر الندى صفاء ولينا

أفعـدل وهم تجنوا علينـا
ورمونـا بالحب أن يهجرونا

خلفونا على الهـوى ثم بانوا
ليتهـم قبـل بينهم ودعونـا

يخفق القلب في الجوانح شوقا
وتذيل العيون دمعـا هتونـا

كاد غصن الشباب يذبل فينا
أفنرجو الوصال في الاربعينا

حسن في الشباب كـل دعاب
يغمر القلب بهجـة وفتونا

وذيول الصباء بعـد علينا
ضافيات،تغري المراح الدفينا

فتعالوا نقض الشباب مراحا
ودعونا مـن الملام دعونـا

وفي الحق ، فان القارىء يتوه في حنايا شاعرنـا البدر حين يريد أن يستبين عواطفـه المشبوبة فـي غزله ، وفي دور هذا الغزل في حياته . أهناك حبيب واحد تعلق به قلبه . أم هن حبيبات كثر ، أمضـه من كل واحدة منهن هيام في فترة من زمان . أم انها كـلجميلة وقعت عليها عينه . أم انه ليس هنـاك حبيب مفضل ولكنه الجمال أضحى شاعرنا موكلا به ، يتبعه حيث كان ، ويعلق بسحـره القلم والوجدان ، كفعل ابن أبي ربيعة في سالفات أيام . ثم ما هــذا الهوى الذي نراه تارة لهوا في مثل قوله :

ما بين لهوي في الهـوى ، ولعابي
أخلقت بـرد صبابتي ودعابـي

كما نراه تارة أخرى مالكا للرقاب في مثل قوله :

أنا الغريب وما لي في الهوى أمل
ما بال قلبي ارتمى يا ليل في الساح

في ليلة كنت أفراحي فصرت على
نواي مبعث آلامـي وأتراحـي

أهو الفن وحده فاعل ذلك ، أم ان للقلب فيـه نصيبا صادقا . ثم ما هذا الذي يملك علينا أنفسنـا من شعر الغزل في الديوان ، فنؤخذ بروعته فنرى فيه نفحا من الصوفيين أو نتوهم من ابداعه انه نفحة من عطاياهم في مثل قوله :

قرأت السحر في عينيـك
أشـكالا وألوانـا

فقدست الذي ســواك
يـا عينـي انسانـا

تخذتـك قبلتي ورضيت
وجـدي فيـك ايمانا

او في مثل قوله :

خمـرة الالهـام راقت
وصفت في مقلتيـك

والهوى يقطر شهدا
صافيا من شفتيك

كبدي الحرى شفاها
يا نعيمي في يديك

ثم ما هذه الالفاظ والمعاني من غزل ، وكأنها مطروحة في سوق الشعر في كل زمان ومكان أو كأنها من متردم الشعراء . ولكنها عند الشاعر البدر نكهة خاصة ومذاق خاص وأفق خاص . وابتكار في تلوين وتصوير ، وطاقة مشبوبة غير محدودة ، متفجرة من حنايا دافئة .. لنمض في جولة الغزل خلال حنايا الشاعر البدر ، فلن نخرج منها الا بما هو ممتع ، وجميل ، وشفيف وحبيب . فقد يحط اليأس في نفس شاعرنا فيجد قلبه موصدا نحو الظباء الشوارد، لان موجعات الايام رمينه بسهم شك في حشاشته فأهلكه . وان في روحه من الحب قروحا يحاول بالسلوان أن يشفيها ، ويعز عليه نفار قلبه من القيد التي كان يأتيه طوعا جمالها . وقد يمر به عهد لا يحاول فيه سلوا ، ففؤاده هيمان في الهوى وولهان. فهو يشكو البعاد ، ويتمنى أن تجمعه الدار بمن يحب . فقد قدس الذي سوى حبيبه بعدأن قرأالسحر واشكاله في عينيه ، وقد شب هواه في كبده وفي أحشائه نيرانا . وهو تارة يرى ان جمال الحبيبة بهجة العين ، وخيالها هوى القلب ، وكل آماله وصالها ، فهي نعيمه وعذابه ، وقد طال عهده بالتجني فمتى يرضى دلال الحبيب . وهو تارة أخرى يرى أن شفاء كبده الحرى في يد حبيبته فخمرة الالهام راقت في مقلتيه ، وهواه يقطر العسل المصفى من شفتيه . وان حبه كالشراب صفاء وطيبا . وفي تارة أخرى يطل علينا الخيام بظلال من ملامح في مثل قول شاعرنا :

هذا الربيع وهذه نسماته تحيي الرياض
قم فاغتنم متع الحياة فانهن الى انفضاض

أو في مثل قوله :

فاسقياني حتى الثمالة منها
أخريات الكؤوس مثل الاوالي

أو في مثل قوله :

يا نجي الروح هذا الكون ظل وخيال
فلندعه لاناس همهم دنيا ومال
ولنهم نحن بكأس وغناء وجمال
حسبنا أنا خلقنا وابتلينا بالحياة

وفي تارة أخرى يشبه شاعرنا نفسه بابن زيدون فيقول :

أظلني منك حب جامح فاذا
به ضلوعي منذ اليوم منآده

أبا ابن زيدون في زهو الغرام فهل
أرى بقربك مني عطف ولاده

أفهو كذلك حقا أم ان القافية اللعينة هي التي جرته الى ما قاله . على أن لدى الشاعر نوازع لوم على هذا القلب الذي سكن للهوى الجامح ومال مع الغوى عن النهج الواضح . فلنسمع الى نوازع هذا اللوم . وهل كان لها من أثر في حنايا شاعرنا :

سكنت يا قلب للهوى الجامح
وملت غيا عن نهجك الواضح

واجتزت عهد الشباب في مرح
عربيد لهو مع الهوى صادح

تعب في الكأس غير محتفل
أمادح سار أم مشى قادح

الخمر والعود والجمال وقل
ما شئت من صالح ومن طالح

يا كابح القلب قف بمنعزل
فشهوة القلب ما لها كابح

سيان عندي اذا انتشيت هوى
ما مر من سانح ومن بارح

وفي مقطوعات شاعرنا المغناة عصارة قلب كل من يهز ه طرب ، وكل من يخفق قلبه بحب ، وكل من يهفو بحنان الى جمال . وحسبنا منها قوله :

أنا في سكرين من خمر وعين
واحتراق بلهيب الوجنتين

ضمنـا الليـل ولف الوصل روحينــا ببرده
والهـوى المعسـول فيما بيننا صاف بشـدة
وجهك الروض وفيــه الورد فواح بخـــده
نسمـة منـه على العاشق تطفي نار وجـده

وقولــه :

دفنت أشجانـــي	بين الهوى والراح
وأنت ريحانـــي	ما دارت الاقـداح
حديثـك السحـر	ولحظـك الخمر
وخـدك القانـي	ورد على تفاح
نامت عيون الرقيب	والليل مد ظلالـه
غن الهوى يا حبيبي	ففي الغناء علالـه
آمنت أنـك بـدر	له من الشعر هالـه
هـواك انساني	مرارة الياس
ما دمت تهواني	ما لي وللناس

وماذا بعد . قف يا قلم فرحلة الغزل عبر اربعين عاما في حنايا شاعرنا البدر لن تنتهي . فهي بعيـدة الاثر ، عميقة الاغوار ، غنية العواطف ، كثيرة الاوتار، قد نرى فيها اذا نثرناها بعضا من تكرار ، ولكنها في مواضعها من حنايا الشاعر في شعره ، جياشة الحنين، هامسة الانين ، متنوعة النغم أسرها حبيب ، ولحنها شيق ، وموسيقاها أخاذة ، وتصويرها رائع ، وخيالها بديع . يلفهابروعة مزيج من تلوين يشد القارىء ، ويرضي الفن ويعجب الذوق الادبي عبر كل ظرف وخلال كل حين . وينأى عن رخيص قول ، وفاحش صورة ، ورديء تعبير وعقدة الجنس ، ويرتفع عن خريطة الانثى الى سماء شعر ، لا يخدش حياء ولا تذمه فضيلة ، ولا يتزمت له دين ولا تتحرج من قراءته تربية ، ولا يمنع عنه صغير ولا كبير

٢٧-١-١٩٨١

حمص ـ عبد العليم صافي



شعراء من العالم :

ليوبومير ليفتشيف

ترجمة : حسين راجي

ولد ليوبومير سبيريدونوف ليفتشيف في التاسع والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٣٥ في بلدة « ترويان » . وانهى دراسة علم « المكتبات » في جامعة صوفيا . ثم عمل في مختلف الصحف والمجلات الادبية ، وفي اذاعة صوفيا ، وهو يعمل الآن نائبا اولا لرئيس هيئة الثقافة . وقد نشر اكثر من عشرين ديوانا شعريا ، أعيد طبع بعضها أكثر من مرة . كما ترجم اثنان من دواوينه الى اللغة العربية .

تعكس اشعار ليفتشيف معاناة وحكمة ورجولة الانسان المعاصر ، هذا بالاضافة الى وطنيته وشفافيته . ويعتبر هذا الشاعر اكبر ممثل لمدرسة الشعر الحديث ، ولا تخلو ابداعاته من تاثيرات كل من افتوشينكو ، وفازنيسينسكي ، وابالينير ، وكذلك ماياكوفسكي وفابتزاروف . وهو احد كبار شعراء بلغاريا في العصر الحديث .

ــ أغنيــة الى غارسيا لوركا ــ

عندما أموت

ادفنوني مع قيثارتي

غ . لوركـا

أين هي غرناطة الدامية .. اين هو قبرك
من الذي يجب أن اسأل واين
هل حيث تصهل الجياد
وتبعثر بحوافرها الرمال أم اسأل الصقور
ذات اللحى البيضاء في قمم جبال نيفادا ؟!

بعيدة .. بعيدة هي غرناطة
ولكن هل السماء هنالك زرقاء
وهل الارض خضراء .. لا أدري !

ولكن ..
ألم تستشهد انت من أجل غرناطة
ألم تسقط هناك حيث يغنون « السفيديليا » ؟
في ذلك التراب الاسباني
حيث بليت قمصان اخوتي الدامية !
بعيدة .. بعيدة هي غرناطة
لكنك قريب انت
لن أبحث عن قبرك لاحزن بل لاغني فوقه اغنية
بينما تعزف قيثارتك لحنا مرحا
أجــل ..
وسأشحذ على شاهدته مدية للمعركة القادمة !

ــ كم هو ثمن التذكرة الى كريميكوفتسي ــ

تذكر كل الكلمات التي قيلت ببساطة
تذكر كل الوعود الغريبة ثم اختبر مشاعرك .!

انني اذهب ففي ساعة الشفق
تنطفىء المجموعات النجمية الغنائية
وكذلك مصابيح النيون الطويلة
أما الثلوج السوداء فقد اصبحت بيضاء
وكذلك الدروب غدت حتمية
بينما الرياح تعصف .. ولا تتوقف

هذه هي محطة الباص .. جدار من ظهورمعتمة
جدار من اكتاف ثقيلة جدار من ياقات مرفوعة

أما أنـا
فانني افكر بانني انطلقت مبكرا
ففي هذه المحطة الجديدة الباردة
ذات جدول المواعيد
الذي مزقته الرياح
ينتظر الشك امامي ، وينتظر الامل امامي
وينتصب العالم مجهولا ، وأسأل الجدار العظيم

يا رفاق
كم هو ثمن التذكرة الى كريميلكوفتسي ؟!
آنذاك .. وببط شديد
مثل اشباح اماكن الرمي القديمة
تستدير الظهور المعتمة
ويصبح الافق ابيض مـن العيـون
العيـــون
العيـــون
التي كتبت فيها اثمان جميع المسافات

انت تسأل
كم هو ثمن تذكرة المستقبل
ان ذلك بمثابة ليلة أرق
أو صدى بارد .. أو سر

خذ معك كـل التصورات
خذ معك كل الاندفاع الحزبي
لكن يجب ان تنسى شفاهي
وأنـا ..
سأنساك الى الابـد
يا دون كيشوت المسكين !
هذا هو ثمن التذكرة الى كريميكوفتسي

.. بشعلة زرقاء تلتهب الخمرة
الخمرة تشجع السابقين ألا تفهم ؟
فهنالك لا يعرف أحد أحدا
بل يحصل على نقود .. نقود كثيرة ..

.. بشعلة زرقاء تلتهب الخمرة .
هذا هو ثمن التذكرة الى كريميكوفتسي

« مللت ان احلم كصبي ما بين مقاطع الروايات
ان اذهب للحفلات والاجتماعات

حيث لا يحدث هنالك شيء جديد
أو ان ابقى ذات الصبي
الذي يقلب نوتات عازف الموسيقا
انا اريد ان احيا .. ان اجنح
هنالك حيث الصعوبات والمجد

هذا هو ثمن التذكرة الى كريميكوفتسي
شكـرا
افهمك ايتها العيون
هنالك حيث ينبلـج الصباح
افهمك .. واسمع من جديد
ذات الصوت الذي يشبه صوتي

تذكر كل الكلمات التي قيلت ببساطة
تذكر كل الوعـود البسيطة
ثم اختبر مشاعرك فقد حان .. »
والآن ..
قد جـاء دور البطاقـات
وها أنذا ادفع كل ما هو عزيز لدي
ثمنا لتذكرة .

ـ ارض الشعراء القتلى ـ

ما بين دائرة القطب ومدار السرطان
(ما بـين رغبـة الفكر)
وكم هو بعيد عن السماء
تزهر أرض رائعة وخصبة
هي أرض الشعراء القتلى

وتندفع القصائد المعتمة لتمزقني
وها هي كالعادة الحاصدة تلوح

لتحصد حزمة اشعاعات شمسيـة
لكنـك حـي
ويحس الصقر بالاهانـة والذئب يبحث
عـن جراحي بعينيه

ارضي لـي
أرضـي في الاعمـاق

انت تصرخ من الساعات الارقة
ونهر « ماريتسا » المجنون في دمائي
يهدم شواطىء القلب
واتعلم ان اكتب قصائد
في أرض الشعراء القتلى

ـ ثمار ـ

ها نحن وحيدان في البيت الكبير
ذي المدافىء الكثيرة في البيت الكبير
ذي التاريخ الغامض ورؤوس أيائل
بعيون زجاجية تبوح بشيء ما
عن اناس كانوا هنا
وعن رقة القيصر مع النساء الغريبات

جدران غريبة .. قساوة غريبة
هنا كل شيء يجعلنا وحيدين

في الخارج ينهمر
ربما المطر وربما الثلج
ليغمر باب الاستعراضات

كم هو رائع ان اسمع قلبك ثانية
مثل الفتيان العاشقين لاول مرة !
اما نحن

فلسنا عاشقين جديدين
ثمانية أعوام هل مرت حقا ؟!
ففي تسكعي الرومانتيكي كنت معي
هنالك حيث نافورات الميثان
كبوابة جحيم تحترق
وقد غفوت انت على كتفي
في القطارات الليلية المتأخرة
وفي مشاريع البناء حيث بكيت من البرد
واخفيت جبينك تحت بذلة عملي

وانا ايضا نمت في حضنك
مثل سفينة انتشلت من القعر
وكانت الشفاه قد صدئت من الحمى
وفي العينين
كانت .. طحالب ارق !
عبر الآلام مررنا وعبر المشاكل مررنا
وعرف احدنا الآخر دونما رحمة
حتى سنوات الطفولة
فقد رأيناها من خلال اطفالنا

الآن .. نحن وحيدان
أمام المدفأة ، وامام ذاتينا
لا شيء يفصل بيننا سوى الرؤية
صافية .. وزرقاء
وسلطة الاحساس الازلية
ليس من افكار تحتسب ولا من اسرار

تدفعك في غيبوبة الفضول
اننا نلتقي انا وانت .. كحقيقتين
يستحيل عدم تجاوبهما
ففي الفضاء ايضا
احبك .. واحبك .

تهمسين لي بالتحية وبلا كلمات فارغة
وبلا ادعاءات ولا تنسين
انك تعيشين .

ببطء كبير وبهيبة عظيمة
يضيء باب الشرفة
لم تمطر السماء بعد
ليس من مطر ولا من ثلج
ارى الدرب وارى السماء
لا اوراق في الاشجار
سوى بضع تفاحات تضيء .

ترجمة ـ حسين راجي

إلهام شعري أم دربة فنية ؟

بقلم : عبدالكريم دندي

— ١ —

ما قاله الاستاذ أكرم زعيتر ، وهو يقدم ديوان شاعر العربية « بدوي الجبل » الى القراء ، شجعني على طرح السؤال القديم المعلق على نافذة الثقافة منذ حين عن آلية الابداع الشعري ، وفتح ملف الشعر . خصوصا وأن الاحاطة بمفهوم الشعر من الصعوبة بمكان ، والمتتبع لاقوال الشعراء حول هذه المسألة يجد عنتا في استخلاص ما يفعل العقل السديد حول الجواب المرتجى مذ عرف الشعر حتى الآن ، وهذا بدوي الجبل نفسه يقول ناظما :

انا ابكي لكل قيد فأبكي لقريضي تغله الاوزان

وهو القائل نثرا :

« الارادة بنت العقل ، والشعر ترجمان القلب ، اذا لم يجئني الشعر عفوا تعذر علي استحضاره اقتسارا .. »

وكان مقدم الديوان قد قال عن الشاعر :

« أنه لا يصطنع الشعر اصطناعا ، ولا يملك أن يقوله ساعة يشاء ، وان الشعر هو الذي يمتلك الشاعر ، فقد يقضي وقتا طويلا لا ينظم بيتا ، وقد يرسل ثلاث قصائد في شهر واحد .. »

وروت كتب الادب الشيء الكثير عن هذه الاحوال التي يكابدها الشعراء عند ابداعهم الشعر ، فقيل عن الفرزدق أن قلع الضرس أهون عليه من قول الشعر ، وعن جرير قيل أنه يغرف من بحر فيما خصمه ينحت من صخر ، فهذه المرويات عن أحوال الشعراء ولحظات الفن تدل على بعض السمات المميزة لآلية الابداع الشعري ، ولكنها يقينا لا تفرق بين الانفعال والابداع .

— ٢ —

آلية الابداع الشعري . لحظة غنية من حياة الانسان ، وهي مسألة هامة أثرت مساجلات النقد الادبي ، حين شغلت الباحثين عن سرها وكيفية صيرورتها عند الشاعر المعذب باللهب القدسي حسب

واضطربت روحه . فكان القلق العاصف في وجدانه حتى كتابتها « شكلا معينا » يستطيع ان يعدي بها القارىء كلما نظر اليه ، ومن يراجع قصائد القرن السادس الميلادي ، لا بد وان يوافق الاستاذ جويدي على ما قاله « انها ثمرة صناعة طويلة » وان يخط بالقلم الاحمر خطا تحت مقولة الناقد شوقي ضيف « الشعر الجاهلي ليس تعبيرا فنيا حرا ، بل هو تعبير مقيد ، ليس تعبير الفطرة والطبع وانما هو تعبير المتكلف والصنعة » ومن نافلة القول ان نعيد ان الشعر الجاهلي يهز قارئه حتى اليوم هزات عاطفية رغم البعد الزمني بينهما .

اذا كان الابداع الشعري ناتج اجتهاد ودربة فنية فلماذا نبجل العبقرية والحدس في الفن ، وهذا المقام الرفيع لمن يقول الشعر في المجتمع حتى غدا كل من كتب أسطر معدودات راغب في هذا المقام ، وفي هذه الصفة الخالدة « الشاعر » مع العلم يقينا ، أن الانسان لا يصبح شاعرا دون أن ينتج شعرا ، وأن يستمر في هذا العطاء الجميل ، ولقد قال شاعر افرنسي معاصر في قصيدة يبين فيها دربة الشعر ، وطريق الشاعر :

اعتبر الكلمة أساسا
وعلى النار أضع الكلمة
خذ نتفة من الحكمة
ومن السذاجة قطعة كبيرة
بعض النجوم ..
بعض الفلفل ..
من القلب الخافق قطعة
وعلى فتحة موقد القدرة ، اغل مرة او مرتين
ثم مرات كثيرة — كثيرة كل ذلك
الآن اكتب ، ولكن منذ البداية عليك أن تولد شاعرا .

فالدربة اذا ضرورة فنية لا بد منها في الابداع الشعري ، وان كانت لحظة الانفعال لا غنى عنها في سبيل الوحدة الشعورية وهيمنة الحالة الشعورية على الصور المتآلفة داخل القصيدة ، وكثيراماضيعت هذه اللحظة الفكرة الشعرية ، وجرت الشاعر على بساط النغم الى صور مغايرة ، تسفح الوحدة العضوية ، وتقضي على صلابة البناء الفني بدعوى الانسياق وراء الخاط رالذي يراود ذهن الشاعر ، ولقد نصح مرة الشاعر الالماني ريلكه قارئه « لا تكتب الشعر الا عندما تشعر انك ستموت اذا لم تفعل ذلك » وبمثل هذه النصائح الرومنسية أعجب الناشئون وعملوا ، وتركوا الاجتهاد والدربة الفنية وكل عوامل الابداع الفني . ومهما تكن الموهبة والذكاء الفطري فهو لا يلعب دورا اكبر من ١٪ من الابداع الفني . فالجري وراء الخاطرة ، ووقدة الانفعال يبعزق جهد الشاعرية ، ويخيس انتاجها ، ولا يخلف اثرا في ديوان الشعر ، وما اكثر الشعراء الذين أهملهم هذا الديوان وهم يملكون عدة الشعر العالي ولكن فهمهم الخاطيء للابداع الشعري وتمسكهم بالخاطر الشعري ، كلما عصف بهم هم او تطاول عليهم ال ، يستمطرونه الشعر ساعات وحدتهم ، دون أن يدركوا ان الموهبة تبرع بنجاح كبير كلما كانت معرفتهم بالحياة أوسع واعمق وادق ، ولن اشير الى تجربة الشاعر انور الجندي الذي ضيع عمره سدى في هذا الطريق ضاربا عرض الحائط المعرفة والخبرة في صيرورة الشعر والابداع الشعري .

دمشق — عبد الكريم دندي

مراجع البحث :

آ — ديوان بدوي الجبل
ب — الفن ومذاهبه في الشعر العربي — تأليف الدكتور شوقي ضيف
ج — الابداع الفني — ترجمة عدنان مدانات

واضطربت روحه . فكان القلق العاصف في وجدانه حتى كتابتها « شكلا معينا » يستطيع ان يعدي بها القارىء كلما نظر اليه ، ومن يراجع قصائد القرن السادس الميلادي ، لا بد وان يوافق الاستاذ جويدي على ما قاله « انها ثمرة صناعة طويلة » وان يخط بالقلم الاحمر خطا تحت مقولة الناقد شوقي ضيف « الشعر الجاهلي ليس تعبيرا فنيا حرا ، بل هو تعبير مقيد ، ليس تعبير الفطرة والطبع وانما هو تعبير المتكلف والصنعة » ومن نافلة القول ان نعيد ان الشعر الجاهلي يهز قارئه حتى اليوم هزات عاطفية رغم البعد الزمني بينهما .

اذا كان الابداع الشعري ناتج اجتهاد ودربة فنية فلماذا نبجل العبقرية والحدس في الفن ، وهذا المقام الرفيع لمن يقول الشعر في المجتمع حتى غدا كل من كتب أسطر معدودات راغب في هذا المقام ، وفي هذه الصفة الخالدة « الشاعر » مع العلم يقينا ، أن الانسان لا يصبح شاعرا دون أن ينتج شعرا ، وأن يستمر في هذا العطاء الجميل ، ولقد قال شاعر افرنسي معاصر في قصيدة يبين فيها دربة الشعر ، وطريق الشاعر :

اعتبر الكلمة أساسا
وعلى النار أضع الكلمة
خذ نتفة من الحكمة
ومن السذاجة قطعة كبيرة
بعض النجوم ..
بعض الفلفل ..
من القلب الخافق قطعة
وعلى فتحة موقد القدرة ، اغل مرة او مرتين
ثم مرات كثيرة ـ كثيرة كل ذلك
الآن اكتب ، ولكن منذ البداية عليك أن تولد شاعرا .

فالدربة اذا ضرورة فنية لا بد منها في الابداع الشعري ، وان كانت لحظة الانفعال لا غنى عنها في سبيل الوحدة الشعورية وهيمنة الحالة الشعورية على الصور المتآلفة داخل القصيدة ، وكثيرا ماضيعت هذه اللحظة الفكرة الشعرية ، وجرت الشاعر على بساط النغم الى صور مغايرة ، تسفح الوحدة العضوية ، وتقضي على صلابة البناء الفني بدعوى الانسياق وراء الخاطر الذي يراود ذهن الشاعر ، ولقد نصح مرة الشاعر الالماني ريلكه قارئه « لا تكتب الشعر الا عندما تشعر انك ستموت اذا لم تفعل ذلك » وبمثل هذه النصائح الرومنسية أعجب الناشئون وعملوا ، وتركوا الاجتهاد والدربة الفنية وكل عوامل الابداع الفني . ومهما تكن الموهبة والذكاء الفطري فهو لا يلعب دورا اكبر من ١٪ من الابداع الفني . فالجري وراء الخاطرة ، ووقدة الانفعال يبعزق جهد الشاعرية ، ويخيس انتاجها ، ولا يخلف اثرا في ديوان الشعر ، وما اكثر الشعراء الذين أهملهم هذا الديوان وهم يملكون عدة الشعر العالي ولكن فهمهم الخاطيء للابداع الشعري وتمسكهم بالخاطر الشعري ، كلما عصف بهم هم او تطاول عليهم الل ، يستمطرونه الشعر ساعات وحدتهم ، دون أن يدركوا ان الموهبة تبرع بنجاح كبير كلما كانت معرفتهم بالحياة أوسع واعمق وادق ، ولن اشير الى تجربة الشاعر انور الجندي الذي ضيع عمره سدى في هذا الطريق ضاربا عرض الحائط المعرفة والخبرة في صيرورة الشعر والابداع الشعري .

دمشق ـ عبد الكريم دندي

مراجع البحث :

آ ـ ديوان بدوي الجبل
ب ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي ـ تأليف الدكتور شوقي ضيف
جـ ـ الابداع الفني ـ ترجمة عدنان مدانات

الركن الهادئ

الحياة وجود مقيد

رشيقة العمري

الحياة وجود مقيد ، ومأساة الانسان تكمن في هذا القيد .

فالانسان مقيد بساعة ميلاد ووفاة مقيد بام معينة واب محدد ، مقيد ببلد ولغة وشكل هذا اذا تجاوزنا قيد المال والوضع الاجتماعي والعائلي .

والانسان الذي يحقق انسانيته يتحدى هذا القيد ، يتحداه لا بكسره بل بتجاوزه وبرسم قدره وبتغيير مجرى حياته بارادة ووعي وتصميم والتاريخ والواقع ملىء بامثلة ايجابية تحدت قدرها وظروفها .

انا انسان فقير والفقر اوجعني واهانني ، سأحصل على المال .

انا انسان حرمتني الطبيعة من أمور كثيرة ولكني سأتحدى هذه الطبيعة وستكون علتي واصلي الوضيع وسوء مجتمعي سبب تفوقي .

اني ارفض تاريخ ميلادي فانا ولدت يوم حددت طريق حياتي وسرت عليه رافضا وبارادة كل المعوقات متجاوزا وبوعي وخطوات ثابتة كل العثارت .

ان كل انسان لديه القدرة على هذا التفكير ولكن القلة من الناس الذين يستطيعون تحقيق ارادتهم ، وهذه القلة تعرف باسم العباقرة ، فنراهم يعملون ويعملون ويتحملون الاذى والحرمان ويتحدون كل العقبات ويتجاوزون كل السدود يتعثر الكثير منهم ومن يصل فانه انسان عبقري متميز ومتميز جدا .

وانا لن اتحدث عن هؤلاء العباقرة . لاني انسانة عادية ويهمني الانسان العادي ، الانسان الذي يملأ الدنيا على مر التاريخ .. الانسان الذي له ضعفه ، وقوته ، وافراحه واحزانه وعثراته ، وانتصاراته ، وآماله وخيباته .. ينطلق احدنا نحن الناس العاديين في الحياة برغبات وتطلعات وامنيات تكبر وتصغر حسب وعيه وثقافته وعمق عواطفه ، فيسعى جاهدا الى تحقيقها وقد تختلط امنياته بامنيات امته وتحررها من الفقر والجهل والظلم وسخف التقاليد . وكلما كبر وعي احدنا كلما كبرت امنياته واشتد حنينه الى بلوغها .. وهنا تبدأ العقبات بالظهور حادة صاخبة .. ولكن شبابه وجموح عواطفه واعتداده بقوته وعلمه وحبه واخلاصه لذاته ولانسانيته المتجلية بحبه لارضه تجعله يتصور نفسه قادرا على كل شيء .. يحاول ويحاول بكل امكاناته ، انه يعمل ، يكتب ، يتعلم يقدم الخدمات ، يناقش القضايا ، يضع المخططات فيغرق ويغرق بافكاره وافكار من حوله تعترضه العثرات ، وتثقل عليه الحواجز ويخنقه الواقع المرير ويكبله بالف قيد ويفرض عليه الصمت والجمود والرضوخ لكن لا .. انه شاب وطموح

ويعرف العلة وبامكانه التغلب عليها وكلما كبرت قـدرة الانسان على العطاء كلما كبرت العثرات التي تعترضه وتشل حركته وتكفيره .

يحاول النهوض بحملة ثانية فتعترضه آلاف المشكلات والعوائق والاسئلة والتجريح .. فيظن ان مآساته هي عدم فهم من حوله له وسخريتهم التي تلاحقه .. تصوروا انه يريد أن ينقذ بلاده بقصيدة شعر ، لماذا الشعر والمرض يفتك بالاطفال والناس ، انـه يكتب مسرحيـة .. ماذا ؟ هـل يطعم مسرحه جائعا. هل يأوي مشردا .. انه يتبرع لاعمال الخير . ماذا يفيد تبرعه ان اطعم جائعا هناك آلاف غيره وان اوى مشردا هناك آلاف لا يجدون مأوى ، انه معلم ، ليعلم باخلاص ماذا .؟ تصوروا هل يتغير واقعنا الاليم ان اتقن عدة اطفال تعليمهم .. لماذا العلم والشهادات والتفوق .. انه تاجر ليصدق في معاملة الآخرين ، ليربح بشكل معقول ، تعلو السخرية وتعلو ، انه يريد ان يصلح البشرية من يعترف به وبصدقه وامانته مبروك عليه الصدق والفقر .

يعيش هذه الصور وتطبق عليه ، اين يهرب .؟ ماذا يصنع .؟ والهوة تزداد بعدا بينه وبين الآخرين . يهرب مـن الجميـع ، يهرب الـى نفسه وجراحـه ومآساته .

منهم من يؤثر العزلة وتسيطر عليـه الكآبة .. ومنهم من يرفض الاستسلام ويستمر في تحديـه واخلاصه وايمانه بقدرته على العطاء .

ومنهم من يلجأ الى السخرية .. السخرية مـن نفسه وممن حوله .. ليسخر من الجميع « الذين حاولوا تهديمه » ليسخر من عاداتهم وافكارهـم وحياتهم ، فيخترق كل القوانين ، ويهزأ من العوطف والجد والصدق .

انه مسحوق من الداخل ، مسحوق وتدوسه النعال الشرسة ويأكل اعماقه وحش الفشل المرعب وامنياته المنتحرة تئن في وجدانه ، فيصور مآساته ومآساة امته ويغلفها بقالب ساخر ، يرغمك علـى الضحك وانت تذرف الدمع .. ولو تستمع اليه وهو يصف تكدس النـاس في الباص ، يده في مكان ، ومعطفه في مكان آخر ، ورجله لا تجد مكانا لهـا على الارض ، ولكن الصبية الحلوة تحدق بربطة عنقـه الرائعة والتي ضاع لونها من القذارة وطول الزمن .

انه جائع لا يجد ما يأكله والجوع ينهش جسده والمرض يفتك به وباهله والبرد يخترق ثيابه الرثة وعندما يراك يبادرك بالسؤال عن سعـر الذهب وماذا تكلف رحلة بحرية في سفينة الحب .

انه مشرد وبلا بيت او مكدس مع افراد عائلتـه بغرفة منسية من الضوء والاثاث يحدق بك ويضحك وهو يدعوك الى منزلـه حيث الموسيقى والدفء والطعام اما البرد والفئران والعناكب والقذارة فهـي من مستلزمات الحياة .

ومن هؤلاء الساخرين من يبدع فيلقي النكتـة اللاذعة ، او التعليق الحاد او الحركة المعبرة فينتزع منك الضحك من خلال الدمع كالجاحظ ، وشارلي شابلن ، ودريد لحام ، وبرنارد شو وابن الرومـي ونجيب الريحاني ، وعادل امام .. وهؤلاء وغيرهـم يسخرون من انفسهم وواقعهم وعاداتهم ويصورون المآساة بقالب ضاحك فلا يملك من يسمعهـم او يقرأ لهم او يراهم الا ان يضحك وهنا شر البلية مايضحك.

ولكن مهما ضحك الانسان وابدع وفكر وسخر يبقى قيد الوجود يخنقه ويحاول جاهدا التخلص منه ومن يدري ربما جاء الوقت الذي يعيش فيه كـل انسان خارج قيده .. لانـه حتى الانسان العـادي يجرح القيد الشرس روحه ، قيد الوجود وغـيره ويعيش العمر وهو يتوق الى كسر تلك القيود والحياة خارجها والانطلاق الى عالم لا قيد فيـه ولا قهر ولا سحق ولا ارغام ، لا اسئلة مبتورة واجوبة مبهمـة ، لا افكار فارغة وعواطف مزيفة .. ناسيا او متناسيا ان الحياة وجود مقيد ، فيهتف رغم كل قيوده يهتف ملء صوته وروحه الحياة حرية وعمل ، الحياة ابداع وتحـدي .

واني اشعر بأعماقي ترتج وانا اسمع هتـاف اولئك الثوار .. الحياة حرية وعمل الحياة ابداع وتحدي ، واهمس والدموع تغمرني قد يصل الانسان يوما الى كسر قيوده .

رشيقة العمري ....

وتورق صحراء العمر

قصة : عطية الحسين

بقي كالحلم مفاتحته بما يجـول في خاطرها .. نهضت من مقعدها القديم ثم غطت وجهها بكلتا يديها ودمدمت ببضع كلمات ، تصاهرت حروفها وامتزجت فجاءت على شكل غير مفهوم .. خرجت الى الشرفة وظلت تحملق بالافق البعيد الذي غطاه الليل بالسواد الكثيف تخللته ثقوب صغيرة مضيئة الليل يطلق نصفه لعقرب الساعة المعلقة على الجدار والصقيع بـدأ يتأرجح ببواكر الريح التي أخذت تستفيق لم يعد من الممكن الانتصاب على الشرفة هذا ما أعلنته (كريمة) وهي تهم بالدخول وتغلق خلفها النافذة .

عاودت جلوسها على المقعد صامتة ، تململت وهي ترنو الى سقف غرفتها وأباحت لبنات أفكارهـــا فتغلغلت بالبعيد البعيد .

كانت صورته ذاوية في عالم وجودي .. تراكمت فوقها احزان الماضي ومآسي العمر العتيقة فحاصرتها وشدت عليها ستارا ضبابيا قاتما كثيفا لكنها بقيت تتجدد وتخضر من حين الى حين أعايشها لحظات النكد والعلقم فتخفف عني بطشها الذي لا يرحم وتمد روحي بالقوة فأسمو بها نحو الرفعة والطهارة .

جاء في ليلة أضواءها خضراء زاهية ومعالـم ابتسامة ترتسم على شفتيه ، رأته مصادفة فأشعلتها المصادفة . أرادت ان تلقي بنفسها بين يديه تقبله تدخل بجسده حتى الانصهار تماسكت ولاذت بالصمت والصبر والانتظار .

لم يأت من أجلها تعرف ذلك ولكنها أصرت على مفاجأته والبوح له بما يختلجها من مشاعر وعرفت أيضا بأنه سيأتي ولاكثر من مرة فهيأت نفسهـــا لملاقاتـه .

استفاقت من تأملها عندما اصطفقت ابـواب النافذة بتأثير الريح التي وصلت حد الهيجان . لقد أغلقت النافذة من الذي عاود فتحها اذن ؟ قشعريرة خوف اجتاحتها . تطلعت حولها ثم هدأت . لم تحسن اغلاق النافذة ، تكومت فوق السرير ثم اردفت : سأراه صباحا سأقول له كل شيء ، واستسلمت لنوم اثقلاه السهر والارق .

وبصعوبة تنفرد به .. انها الفرصة الوحيدة التي بها ستنشر له ما يغالبها من الوجد والشـوق .. وتحاول عبثا ، لقد جفت الكلمات في حلقها وتبعثرت بعد أن جمعتها ليلة الامس . وفي آخر لحظة حالفها الحظ فقالت بشيء من الحياء :

— هل يمكن لي رؤيتك في العيادة التي أعمل بها ؟ انها تتوسط الشارع رقم ثمانية من اجل أن أوقفك على ما اقوم به .!

تأملها وهي تتحدث اليه تطلع في تقاسيم وجهها ، توقف بصره بعمق عينيها ، ثم أومأ برأسه موافقا ولم يتم اشارته حتى لاح على محياها ارتياح بسيط وارتسمت على شفتيها ابتسامة أمل ورجاء .

عرف وبشكل مسبق ما تريد أن تقوله . الا أنه تجاهل الامر وانساب يفتش بين الشوارع . لقد انتهى لتوه من العمل ، لم يذهب الى البيت أراد أن يأتي بما قطعه على نفسه . لمحها من النافذة تحدق في الافق ، أحب مفاجأتها وقف بالباب باسما . التفتت وبغير قصد ركضت نحوه ملهوفة قلقة أجلسته على أحد المقاعد وقابلته على مقعد آخر ، تنفست الصعداء .. لقد انفردت به هذه المرة بعيدا عن زحمة البيت . ومن بين اطواق الصمت الذي خيم ولفترة وجيزة انبثق صوتها متهدجا هامسا :

ـ أنا يا سعيد ومنذ سنوات اربع عايشني الاعجاب بك وغالبني البوح بذلك مرات ومرات . الا انني وفي كل مرة ألوذ بالصبر لاقرب فرصة مواتية ، كنت أراك وحيدة وانتظرك وحيدة ، يتدفق اسمك على لساني في كل المناسبات واحسك بجواري تسمع صلاة الروح وخفقان القلب خصبا نديا ، لا اريد منك شيئا . أريد ان أراك بقربي فقط أسمعك تتحدث للآخرين احتفظ بصوتك لقائلة البعد الذي لا ارغبه بعد اليوم .

.. ومن زحام كلماتها المتراكضة المجنونة بالشوق والامل ينشق صوته غامضا غائما :

ـ أنا يا كريمة لم افهم ما تقصدين ، قال ذلك بعد أن تقاسمه العطف والخوف والتردد فهو يدري بهذا أوصلها درجة الانهيار لذلك التهبت مخاوفه على المصير الذي قد تصل اليه ، تذكر ماضيها المليء بالشوك والدموع وتفوح منه رائحة المأساة الحقة . اسرتها سبع فتيات والام على رأس هذا الحشد الذي هزته الايام ففككت حلقاته المتراخية الصدئة ، ولسوء الحظ فان الوالد كان قد تزوج بحثا عن أطفال ذكور ، وهرب دون رجعة ودون .. ودون .؟!

رغبته أن لا يزيد المأساة بمأساة . أحس بأنه وقع . هو لا ينكر ما يكن لها من احترام وتقدير ولكن ..؟؟

تركها وخرج بعد أن اسمعها : دعيني افكر للغد فأعقبته مستأذنة بالخروج ، لزمت البيت طريحة الفراش ، مريضة ، فقد خسرت أعظم صفقة في تاريخ حياتها كانت قد علقت عليها آمالا جساما وتطلعت الى مواسمها التي حسبتها مليئة خصبة .

دخل البيت شاحبا يفكر . أجبر نفسه على الطعام ، لم يستطع . السيجارة هي الوسيلة الوحيدة التي زادت مصاحبته لها ومع هذا لم يكن بمقدوره اخفاء الامر عن شقيقته وبئر اسراره ، طلب مساعدتها وكالذي خرج من قعر النهر فاذا به يسقط في بئر أعمق . وضعته على مقعد العادة وأدارته حتى أداخته نشرت أمامه امورا ستحدث له فعلا ومن أقرب ما يمكن ويعرفها جيدا ولكن هناك انسانة تتلوى تحت سياط الخيبة اعظم من كل هذه الاشياء .

خرج من حضرتها بما أدخل معه وبشكل أثقل . اسلم نفسه للوحدة يقرر حلولا لا تروقه فيتركها .

لم يبق سواه فهو الوحيد الذي بوسعه أن يفاتحه فهناك اناس نصادفهم في حياتنا نحبهم من اعماقنا وعندها يطيب لنا محادثتهم بما يكدر فينا صفو أيامنا التي قد نحسبها وادعة هادئة وكالقدر يأتيه رسول سلام ، لم ينتظر بضع ثوان أراد ان ... ولكنه أوقفه .

ـ انتظر اعرف كل شيء .

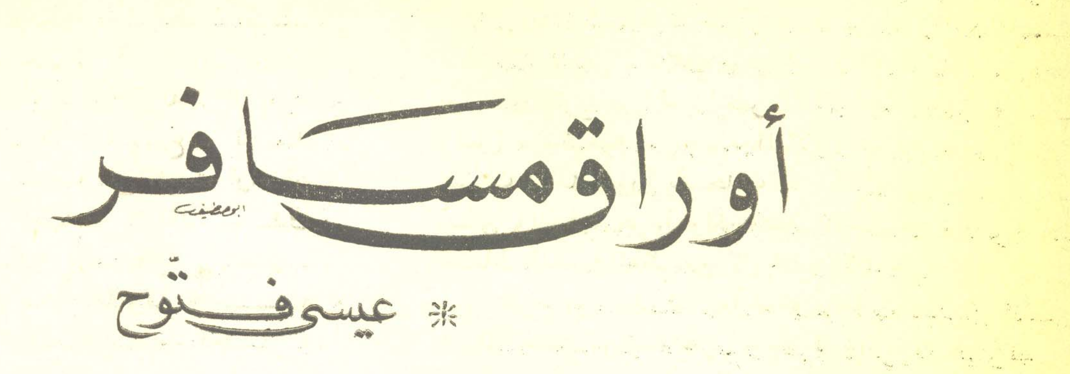
وقص عليه محنته . حسب ان احدهم اعلمه . استغرب !! واسترخى مصغيا

فلسف له الرجل طويلا .. توقف عن الكلام بها . انشغل بأحاديث جانبية ثم اسهب في حديثه بما توقف عنده ، اعطاه حلولا عديدة متباينة النتائج متفاوتة الاستخدام بعضها من المحال والبعض الآخر يظلم طرفا لحساب طرف .

لم يفلح رسوله ، النتائج ليست مرغوبة لديه فهو في ذروة التردد ويريد بعض التعزية .

فجأة قتل حيرته ، قال له : نحن يا صديقي عاجزون كل العجز اذا ما حاولنا اخفاء صدق عواطفنا أو أردنا تجاهل عمق أحاسيسنا تجاه الذين يحركون في ذوات أنفسنا الحنين ويرشوننا بأنداء الشوق . فاحساسك بالعطف والخوف نحوها يدفعاني لتقرير حبك لها وتعلقك بها . فلماذا لا نحب الذين يقدمون لنا انفسهم بعد أن أزالوا كل براقعهم كالغيث المنبعث من أجنحة سحابة طاهرة .. لم يكمل له القول ، حتى اندفع نحو الباب . وبلحظات أخذ يجمح فوق الرصيف كمهر أغر باحثا عن حبيبته التي ما أن رأته حتى تدفقت بهاء واخضرارا بعد أن يبست في عروقها دفقة الامل والسعادة ، فأورقت صحراء العمر اليابسة الرملية واستحالت الى ظلال تبرعم تحتها قلبان محبان .. والى الابد .

حماه ـ عطية الحسين



كانت اسبانيا ولم تزل موطن احلام السياح من كل مكان ، تستهويهم الآثار العديدة التي خلفها العرب في غرناطة وأشبيلية وقرطبة وطليطلة وفالنسية ، وتغريهم الشمس الصافية ، والشواطىء الرملية الناعمة في مالقة وتوريمولينوس وماربيللا .. فلا يكاد السائح الاوروبي يصل الى اسبانيا حتى يسأل عن شاطىء الشمس ، او كوستادل سول كما يسمونه هناك . اما انا فلم يكن همي البحث عن الشمس والدفء والرمال الذهبية الكثيرة في بلادي بقدر ما كان همي البحث عن قصر الحمراء ، وجنة الخريف في غرناطة وقصر الخليفة ، وحي سانتا كروث الشبيه باحياء دمشق القديمة ، ورؤية مئذنة الخيرالدا وبرج الاجراس فيها وبرج الذهب ، وساحة اسبانيا وحديقة ماريا لويسا ، ونهر الوادي الكبير ، وكلها في مدينة اشبيلية الحالمة الساحرة وجامع قرطبة الكبير وغابة الاعمدة الهيف التي قام سقفه عليها ، وصحنه الواسع المزروع حاليا باشجار النارنج ، هذه الاشجار التي تطالع السائح في كل مكان من بلاد الاندلس المترامية .

كان الدليل الاسباني يطوف بنا في متاهات قصر الحمراء الرائعة البديعة ، من قاعة المشور الى قاعة السفراء ، ومن قاعة الاختين الى بهو الاسود ، ومن بهو الريحان الى قاعة بني سراج والحمامات والممرات. أما انا فشاخص انقل بصري بين النقوش والمقرنصات، والكتابات « لا غالب الا الله ، القدرة لله ، والعزة لله » التي تملأ الجدران في شبه اطارات مربعة الزوايا ، وكذلك عبارات « عز لمولانا السلطان أبي عبد الله امير المؤمنين ، والعز لمولانا ابي الحجاج » وغيرها من الزخارف والنقوش المحفورة في الجبس الملصق على الجدران ، تجعل من الفن الاندلسي شيئا فريدا في الدنيا .

كنت طوال الوقت اتأمل انعكاس ثريات السقوف في الماء يبدو كالجواهر النادرة ، وانتعش برذاذ النوافير هنا وهناك ، وأراقب مجموعات السمك الملون التي تملأ البرك في حين كانت اذناي تنصتان الى الدليل وهو يردد امام السياح من مختلف الجنسيات « انها المعجزة العربية » ، فاشمخ برأسي عاليا ، وافخر بأصلي ونسبي واضيف قائلا : كل ما ترونه من مدهشات انما كان من صنع اجدادي العظام ، اما لسان حالي فيتمتم ويهمس مع الشاعر عيسى الناعوري :

عيني ترى الماضي فتبكي له   يا ليت ماضينا هو الحاضر

بعد ان قضيت يومين في غرناطة قادما اليها من اليكانتي وفالنسية ، سافرت الى مالطه وتوقفت بضع ساعات في توريمولينوس لارى العجب العجاب آلاف الناس شيوخا وشبابا ونساء واطفالا تمددوا على الرمال المحرقة ، ليعبوا أكبر قدر من الشمس المتوهجة وتكتوي جلودهم ، لان الشمس هي مطلبهم الاول .. عشرات الفنادق والملاهي والمقاهي الفخمة تزرع شواطىء اسبانيا الجنوبية من مالقة الى الجزيرة

على جبل طارق تغص كلها بالسياح الذين توافرت لهم كل اسباب الراحة والسرور والبهجة والفرح ، يرقصون ويغنون ويعزفون ويسهرون حتى ساعات الفجر الاولى او حتى مطلع الشمس .. كنت وانا أتأمل تلك المشاهد الساحرة المتنوعة اسأل نفسي : ترى هل انا في جنة السماء او في اسبانيا ارض الجمال والخيال ؟.

لقد عرفت اسبانيا كيف تؤمن لزوارها كل وسائل الراحة والخدمة فقد دخلها في العام الماضي اربعون مليون سائح بينما عدد سكانها لا يتجاوز السبعة والثلاثين مليونا .

فلنتصور ! وعرفت كيف تعاملهم بلطف ومودة وايناس ليعودوا اليها ، ويحنوا الى ربوعها الخلابة ، حتى أن كثيرا من المتقاعدين من المانيا وهولندة وبلجيكا خاصة طابت لهم الاقامة الدائمة على شواطئها الدافئة المشمسة ، فابتنوا بيوتا لهم وتخلوا عن اوطانهم الاصلية .

وصلت بعد ذلك الى الجزيرة على جبل طارق ، ثم ركبت باخرة ضخمة (باركو) الى مدينة سبتة في أقصى المغرب العربي وهي الآن منطقة حرة تشرف عليها اسبانيا ، كما تشرف على مليلة أيضا وخلال ساعة وربع وطئت قدماي ارض قارة افريقيا ... وبالرغم من أن في سبتة الآن عشرين ألفا من المغاربة ، الا انهم لا يتكلمون العربية بل الاسبانية باستثناء قلة قليلة من الكبار في السن ، ويحملون كلهم الجنسية الاسبانية . دخلت أحد المحلات التجارية كتب عليه « بازار مصطفى » لابحث عمن اتكلم معه بالعربية ، فخاب أملي الى حد بعيد لان العربية تكاد تلفظ انفاسها في هذه المدينة القاصية التي أوشكت اسبانيا أن تبتلعها لغة وقومية وشعبا ! قال لي السيد مصطفى بلغة عربية محطمة غير مفهومة : اننا بحاجة ماسة الى المدارس العربية لنعلم أبناءنا لغة كتابنا على الاقل ، فليس عندنا الآن غير كتاتيب هزيلة بسيطة تقتصر على تعليم القرآن وأصول الدين فقط ! لقد انصرف ابناؤنا عن العلم الى العلم في التجارة والخدمة في المحلات التجارية التي يملكها الاسبان ، فلا فائدة من تعلم العربية في مدينة كل ما فيها يقوم على التجارة مع الاسبان .. سيأتي وقت ليس ببعيد نذوب فيه في المجتمع الاسباني ونصبح جزءا منه ان لم يتداركنا اشقاؤنا العرب ، ولا أكتمك سرا اذا قلت ان أبناءنا يقبلون على تعلم الاسبانية لسهولتها ولتوافر مدارسها وللحاجة اليومية اليها .

عدت من سبتة والحزن يملأ نفسي على مصير هؤلاء العرب الذين لا يعرفون من العروبة غير اسمها فزرت مدينتي طريف وقادس في الطريق ، ووصلت أشبيلية ليلا .. في صباح اليوم التالي حملت خارطة المدينة ، ونسخة من الدليل العربي الذي كنت احمله ورحت اجوب شوارعها واحياءها وأزقتها الضيقة ، فقد احببت ان اكتشف بنفسي معالمها الاثرية ومواقعها السياحية توجهت باديء ذي بدء الى الكاتدرائية التي تعتبر ثالث كنيسة في العالم ، وتقوم مكان مسجد كان شبيها بجامع قرطبة ، ثم تهدم الجامع وقامت الكاتدرائية مكانه ، ولم يبق منه الآن غير صحنه الواسع المليء بأشجار النارنج ، غير ان اهم أثر باق من الجامع هو المئذنة الضخمة المربعة التي يطلق عليها اسم الجيرالدا أو الخيرالدا ، وطولها خمسة وسبعون مترا ، ثم أضيف اليها برج الاجراس فبلغ ارتفاعها تسعين مترا ، ويصعد اليها من الداخل بطريق يتسع من ٤ ــ ٥ اشخاص ، وفي نهاية كل دورة شرفات تطل على مختلف جوانب المدينة .

ويقوم مقابل الكاتدائية قصر الخلافة ، وقد أصبح بعد خروج العرب مقرا لملوك اسبانيا ، وهو شبيه بقصر الحمراء في نقوشه وزخارفه وقاعاته ، يجمع بين الطراز العربي والطراز القوطي ، وطراز عصر النهضة ، والطراز الباروكي ، لكن النقوش والزخارف والكتابات كلها عربية ، وبالرغم من الشبه الواضح بين قصر الحمراء في غرناطة وقصر الخلافة في اشبيلية ، ولا سيما في قاعة السفراء وغرف النوم والحدائق العامة ، فان قصر الخلافة يظل دون قصر الحمراء في قبابه واتساعه وروعة زخارفه وتعدد قاعاته . وقد ظل هذا القصر مقرا للخلفاء والامراء العرب ومن بعدهم الاسبان . مدة طويلة وكان الجنرال فرانكو ينزل في جناح حديث فيه كلما زار اشبيلية .

زرت كذلك برج الذهب الذي يقف على شاطىء نهر الوادي الكبير شامخا بأضلاعه الاثني وهو أحد الحصون العربية القديمة ، أقيم لحراسة المدينة من هجمات الاعداء . كما زارت بيت بيلاطس ، وساحة اسبانيا وحديقة ماريا لويسا التي تكاد تشبه غابة

من الغابات العذراء وسط المدينة ، تحجب اشجارها الكثيفة وجه الشمس ، وهي مسرح للعشاق من الشبان والشابات ، حيث يطيب الضم والعناق وتبادل القبلات بشكل سافر . وحي سانتا كروث الشعبي القديم الذي تعشش الدكاكين في كل زاوية من زواياه ، أو منعطف من منعطفاته لبيع السلع والهدايا التذكارية التي تستهوي السائح وتشده اليها باهتمام وخاصة الحقائب الجلدية والسيوف الصغيرة التي تصنع في طليطلة ، وهي تقليد للسيوف العربية القديمة ، وعلب الموزاييك التي ما تزال تصنع في غرناطة حتى اليوم .. والغريب أن العربات التي تجرها الخيول لا تزال تستخدم في اسبانيا ـ ولا سيما في اشبيلية ـ لخدمة السياح ، وتقف في صف طويل بين الكاتدرائية والقصر ، فتترك فضلاتها ونفاياتها ، وتفوح منها روائح كريهة لا تليق بهذه المدينة السياحية التي استهوتني ونالت اعجابي اكثر من أي مدينة اخرى .

استغرقت رحلة الاندلس سبعة أيام خصصت آخر يوم منها لزيارة قرطبة مدينة الشعر والادب والفن التي تزهو بجامعها العظيم ، وتعتز بماضيها العريق ، فقد اطلعت نخبة من الشعراء والعلماء والفلاسفة كابن زيدون ، وابن عبد ربه ، وابن شهيد ، وابن رشد وابن حزم ، والمغني زرياب وغيرهم .

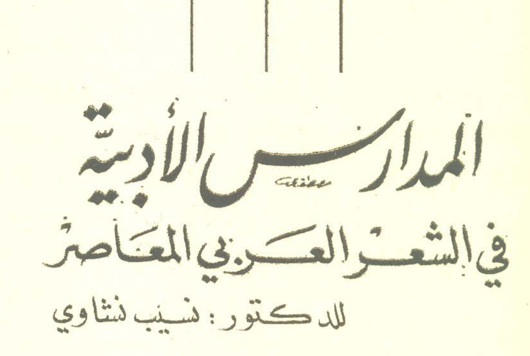
أهم ما يستوقف السائح في قرطبة اليوم هو جامعها الضخم الذي استغرق بناؤه مئتين وعشرين سنة من ٧٨٠ ـ ١٠٠٠ ميلادية ، وهو اكبر مسجد في الدنيا ، يقوم على ألف ومئتي عمود من الرخام ويدعى اليوم المسجد الكاتدرائية ، لان قسما كبيرا منه قد تحول الى كنيسة واضيف الى مئذنته الشامخة برج علوي للاجراس ، كذلك وضعت بين أعمدة المسجد في الداخل هياكل وصور دينية مسيحية ، لكنها لا تكاد تظهر بين تلك الغابة الهائلة من الاعمدة والاقواس .

تنتصب الاعمدة الرخامية الرفيعة داخل المسجد في صفوف متتابعة ، وفي هندسة عجيبة وتحمل فوقها التيجان المركوبة بأعمدة أخرى لكي تحمل القوسين بين كل عمودين احدهما فوق الآخر . وامام المسجد ساحة واسعة هي بهو النارنج ، وكانت في الاصل صحنا للجامع لكنها مهملة . ولما طفت حول المسجد لاحظت تآكل حجارة الجدران الرملية القريبة من الارض ، ويزداد الحت يوما بعد يوم ، فاذا لم تتدارك الجدران بقميص من الاسمنت المسلح فسيأتي يوم تنهار تلك الجدران الضخمة ، واستغربت كيف لم تنتبه وزارة السياحة الاسبانية الى خطورة هذا الوضع ، علما بأن تلك الآثار تدر عليها أموالا وفيرة كل عام .. وانني أدعو الدول الاسلامية الغنية الى الاهتمام بهذا الاثر الاسلامي الفريد من نوعه ، لانه مفخرة من مفاخر الهندسة المعمارية ، يدل على ان الماضي العظيم الذي بلغه العرب في الاندلس .

بعد أن قضيت اسبوعا كاملا في الاندلس وقطعت مسافة ٢٥٠٠ كم تقريبا ، عدت الى مدينة فالنسية ، وهي المكان الذي انطلقت منه رحلتي ، فبقيت اسبوعا كاملا انعم بمرافقها السياحية ، وخاصة موقع مونتي بيكايو الجبلي الذي يشرف على البحر ، حيث يقوم فندق كبير من احلى واروع الفنادق التي رأيتها ، اذ كل ما فيه على الطراز القديم البسيط ، فلا تعقيد في الاثاث والمفروشات ولا كلفة في الديكورات .

دمشق ـ عيسى فتوح





المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر

للدكتور: نسيب نشاوي

لا يكون الاديب منصفا لنفسه ولا للحقيقة اذا هو تناول أثرا ونقده دون مراعاة الحياد ، واذا كان لا يستطيع الا ان يكون محبا أو ذا هوى فانه يؤدي به الى اعطاء الاثر فوق حقه . واذا كان متعصبا أو في نفسه حفيظة فان حكمه يكون بعيدا عن الصواب وبعيدا عن خدمة الحقيقة بمقدار تعصبه ، بل قد لا يكون مفيدا اصلا .

جاءت هذه المقدمة لتخوفي من ميلي الى المؤلف . والسبب انه كتب عني فعتبت بما ينبغي لمثلي على مثله ، فأجاب بكرمه ورفيع تهذيبه بما غمرني بانسانيته . واحسب أن اول ما نحتاج اليه في من يتصدى لمثل عمله الرائع هو الخلق السامي . واسعدني الحظ عن طريق الاديب يوسف عبد الاحد فلقيت الدكتور نسيب فرأيت انسانا لطيفا وأنس نابع من قلب حي وذهن متقد .

وأنت تستعجلني ، وتقول ماذا عن الكتاب ؟

الكتاب موسوعة معارف وبحر مليء بالجواهر ، جواهر الشعراء وجواهر الاديب المؤلف الذي يراه مجليا في كل أفق من آفاق البحث في النظريات وفي تحليل الشعر ونقد الشعراء ووصف كل شاعر بما يناسب طريقته وبما يكون من طبيعته وأدبه الذي يهيم فيه . فاذا استرسل في التعريف والبيان ، أحببت لو اطال واذا اوجز احببت وجازته وتمنيت لو أسهب وفي رأيي انه أحيانا في نثيره يكون شاعرا ذا جناح قوي يحلق في أرفع الآفاق . ويأتي بصور لا تكاد ترى لها مثيلا ، ولا نظير في الحسن والتوقيع لا اقصد ان ألخص للقارىء الكريم مضمون الكتاب ولكن لا بد من بعض الملامح وابداء رأي في بعض الامور . يقع السفر القيم في ٦٢٢ صفحة من القطع الكبير والطباعة ممتازة والورق أبيض جيد وثمنه معتدل بالقياس الى حجمه اخرجته مطابع الف باء ـ الاديب ـ دمشق .

ذلك هو الشكل الخارجي ، اما المضمون فانه الكتاب قسم الشعراء الى مدارس : اتباعية ، رومانسية واقعية ، ورمزية .

وقد شرح المدرسة ثم ذكر اعلامها وبين ما يختص به كل شاعر ولا بأس ان نذكر كل مدرسة واكبر ممثل لها :

المدرسة الاتباعية او الكلاسيكية :

وأهلها قلدوا الاوائل في الاداء وبعض المضمون ، ابرز اعلامها محمود سامي البارودي ثم تممها شوقي وهناك من قلدوا الاسلوب وجددوا المعاني ، كالرصافي وممن يلحق بهؤلاء شعراء سورية المحافظون ومنهم محمد البزم وبدوي الجبل وعدنان مردم بك .

المدرسة الرومانسية :

وفيها شعراء المهجر الشمالي ، كجبران ونسيب عريضة وايليا ابو ماضي ، وشعراء المهجر الجنوبي ، جورج صيدح وشفيق المعلوف وفوزي المعلوف .

وهو يذكر أن في مصر العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري وجماعة ابولو ، احمد زكي وابراهيم ناجي .

وحلقة الوصل بين التقليد والتجديد خليل مطران والاخطل الصغير ـ بشارة الخوري .

والفصل الخامس عند المؤلف هو تبلور الرومانسية في الشعر الحديث وممثلها سعيد عقل ولكنه لم يأت بشواهد كثيرة من شعره .

والفصل السادس يقول ان الرومانسية في تألقها يمثلها على محمود وطه والشابي وعمر ابو ريشة .

المدرسة الواقعية :

وعنوان الفصل الشعري الواقعي الملتزم المقاتل كعبد الله البردوني في اليمن ومحمد العيد في الجزائر وسليمان العيسى . ثم محمد الهواري في المغرب . وشعراء الارض المحتلة ويميز منهم توفيق زياد ومحمود درويش وسميح القاسم .

المدرسة الرمزية :

خليل حاوي ، ادونيس ، نازك الملائكة ، بدر شاكر السياب والدكتور احمد سليمان وغيرهم .

اعترف بان هذا التلخيص ناقص ، وكان لا بد أن يكون كذلك ولكن لا بد من موجز للتعريف بهذا السفر القيم .

والكتاب في جملته وتفصيله جرى على الطريقة العلمية في تناوله لكل نظرية ، ولكل شاعر أو عصر ، ويتجلى ذلك في القوائم الغزيرة للدواوين الشعرية والمراجع العربية والاجنبية في تاريخ النقد التي اعتمدها المؤلف . فاذا اقتبس كلاما او معنى أشار الى المصدر الذي اغترف منه . ومن هنا فان الامانة العلمية تسيطر على كل لمحة من لمحاته ، وهذه ميزة الانسان الذي لا يبالي بما بذل من جهد ولا بما انفق من وقت ، وذلك لان آماله فساح ومطامحه التي تتصباه كبار صباح . ولكنه مضى بالدأب الموصول ليقدم للعربية ما لا يستغنى عنه الباحث ولا الشادي في الادب ذلك من اجل ان يرى وجهة نظر امينة أو نظرة في المراجع وهذا ليتناول معرفة موجزة نابضة بالحياة تدفعه للازدياد وتبعث فيه الحب والقوة . والعجيب ان كثرة الاقتباسات تتنال من اسلوب المؤلف ، والدكتور نسيب نشاوي فان اسلوبه ظل محتفظا باشراقه وسلاسته .

ومع كل الاعجاب والتقدير للدكتور نشاوي الاني أحب ان ابدي ملاحظة على ما كتب عن التقليديين : ان اللغة العربية التي كان يكتب بها الناس في مطلع القرن التاسع عشر قد بلغت دركا سحيقا من الركاكة في التعبير الى مستوى لا يوازيه في التردي الا انحطاط التفكير بعامة . انظر الى قول شاعر يعزي بحريق

اذا سلمت هام الرجال من الاذى

فما المال الا مثل قص الاظافر

وقول الشاعر الليثي يهنيء الخديوي ويصف استقبال الناس له :

وتباروا بضمر سابقات فترى الليث فوقظهر الغزل

منظران فظيعان قص الاظافير والليث مطبق على ظهر الغزالي المسكين بعد وقت قصير من ذلك يجيء البارودي ثم شوقي ليجري مع اعظم شعراء العربية في العصر العباسي مع حلاوة موسيقى شوقي .

ان كل نهضة بعد ركود استمر قرونا لا بد لها ان تستلهم الماضي العظيم ، وقد حدث مثل ذلك في النهضة الاوروبية حين بدأت بالتفتيش عن الكتب اللاتينية والرومانية تستلهم منها المعاني ، وظلت اللاتينية واليونانية الاصل المكين في الادب والحضارة الاوروبية ، واولئك الافذاذ مثل ابراهيم اليازجي والالوسي والبارودي وسواهم انما استلهموا اروع النماذج التي بلغها الادب العربي نثره وشعره في ازهى العصور ، وكان ينبغي زيادة الايضاح بان اللغة استعادت جلالها وبهاءها على لسان شوقي وحافظ ومطران والاخطل الصغير والرصافي ومن لف لفهم : وقد أثر هؤلاء في الناس فتناقلوا شعرهم وحفظوه وغنوه حتى لقد كانت قصيدة شوقي تنشر في الصفحة الاولى لاشهر الصحف المصرية .

وجاء الحاسدون كالمازني والعملاق العقاد وعبد الرحمن شكري فلم يعلق شعرهم بذاكرتهم هم انفسهم . ولا أحسب احدا من الشباب اليوم ويقرأ من شعر العقاد . لماذا ؟ لان الشعر موسيقى وعاطفة

وعنفوان وليس عند اولئك عنفوان ولا موسيقى .

ثم ان المجددين من الواقعيين الجدد والرمزيين اخذوا يترخصون ، بعضهم بقصد وبعضهم لعجز ، في نقاء اللغة وصفاء الاسلوب بل ان الرمزيين في مجلة شعر وسواها يكتبون أسوأ انواع النثر ويزعمون انه شعر جديد وانه ذو موسيقى داخلية . واكثر من ذلك انهم لا يتورعون في ركاكتهم عن البذاء كقول احدهم « لان كليتيك مطبوختان تحت الشمس يا ملاح الـ . . »

وما زال الرمزيون يغرقون في رمزيتهم حتى استغلق فهمهم وفك طلاسم كلامهم . وهم لا يبالون بالناس وكان ينبغي على الناس ان لا يبالوا بهم .

ولقد قرأت ديوانا لاحد زعمائهم فلم افهم حرفا واحدا وسمعته ورأيته على شاشة التلفزيون فلا والله لم تسمع أذني موسيقى ولم تلح لي فكرة لا هزيلة ولا سمينة . هكذا هم الزعماء فما بالك بالدهماء ؟ لقد اغثوا نفوسنا .

وفي كتاب المدارس الادبية تقرأ في الصفحة ٣٩٩ للفيتوري :

اسود قد أنضجته   مواقد الصحراء
تفوح من ابطيه   رائحة الانبياء
وفي خطاه . .   جلال النبوغ والكبرياء

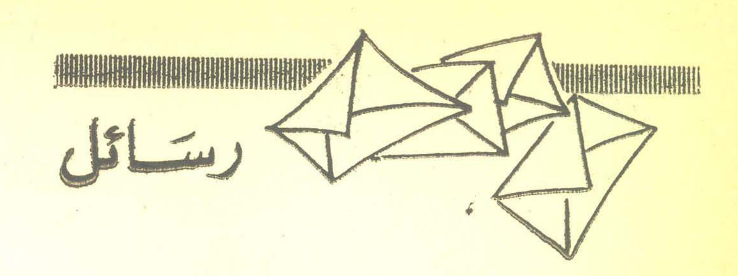
ان الموسيقى في هذا الشعر ، صدرت عن اوتار غير محكمة التناغم فهي في اذني ناشزة . وادهى وأمر رائحة ابطي العبد تفوح منها رائحة الانبياء ان كلمة ابطيه قبيحة التكوين فكيف اذا فاحت منها رائحة انسان حتى لو كانت غانية مثل مارلين مونرو او مارلين ديتريش او ما شئت من الكواكب .

في هذا العرض ابدو وكأنني لم ألبس ثياب العرس بلى لبست لباس العرس والمهرجان وانما أردت ان اذكر أن الشعر في هذا الزمان خاصة يجب (زماننا) أن يكون خبزا يوميا فينبغي ان يأكلوه نقيا ساخنا شهيا . وخبز اكثر هؤلاء يغثي النفس بعد ان يصيب المعدة بالغثيان .

اعذرني يا خي يا دكتور نسيب ، فانني هللت لنجاحك ورقصت في هذا المهرجان ، والعيد الذي طلعت به على الناس ، وهو حلية فريدة لتزين مفرق العربية ، فما احلى حليتك وما ابدع زينتك فالى مزيد من المجد والانتصار .

عمان : الاردن ـ حسني فريز





١ ـ الى الشاعر اسماعيل عامود ـ دمشق

قبل كل شيء أهنئك على الفوز بجائزة الشعر الاولى التي نظمها واشرف عليها اتحاد الكتاب العرب عن قصيدتك « الدخول في طقس الحبيبة ـ الوطن » ومن ثم احدثك عن مجموعتك الشعرية السابعة « السفر في الاتجاه المعاكس » وقد خالف مضمونها وحي عنوانها فالبون جد شاسع بين معنى والعنوان ومضمون القصائد فأنت في الخواطر الثمانية عشرة مسافر بلا هوية ، الحزن والهرب والامنية بيرق تجاربك الشعرية ولا أظنك مخادعا قارئك وانت تفتتح المجموعة بهذا التأسي :

آه .. ياوطن الحب المغروس في قلبي كشجرة سرو متعبة
في السر المكبوح أغني لك قصائد السفر والتغرب
وبينما اناملي تكتب عنك اطروحة القهر والنضال
تكون أرتال السنونو قد نقلت كلماتي المبحوحة على اجنحتها
وسافرت في الطقوس المعاكسة
الى مروج اكثر غبطة من قلبي ..

واذا كانت الطيور تهاجر الى حيث تريد رغم الطقس المعاكس . فأحرى بالانسان ذي العقل ان يهاجر في سبيل افكاره وما يؤمن انه الحق والخلاص الانساني من ليل القهر والاستغلال والطاغوت . ولنا في سيرة الاوائل من بني البشر قدوة حسنة يا عزيزي ولا اكتمك اني لمست سفرك بلا هوية او هدف على مدى التجارب الشعرية التي دونتها فوق قرطاس المجموعة الاخيرة ، خصوصا وانك تؤمن ان الخلاص لا يأتي عن غير طريق الكفاح الدؤوب . وان المناضلين في الحياة هم الشموع التي تنور السبيل امام القوافل بأي طقس كان ، وعلى المرء ان يسعى الى اهدافه ولو في الاتجاه المعاكس ، طالما الايمان بالخلاص رائده ودليل خطاه في ليل المحنة الداكن .

شاعري « أبا الفداء » ما لمست هذا الذي تؤمن به في كل ما دونت تحت عنوان مجموعتك المعبر عنه ، ولا شعرت فيه وانا اتابع صورك الشعرية الساحرة من قصيدة الى اخرى ، وهذه المسألة تحتاج الى دراسة نقدية متأنية ، آمل ان اوفق فيها عند المعالجة ، ولك تحياتي من البلدة التي تحبها حيث العطش والغبار ، وقد جلس العاكفون على موائد الشعر العربي فيها يمزمزون ابيات القصائد حتى مطلع الفجر في ليالي الصيف القمرية فوق المصاطب والسطوح .

كل ما جاء في هذه الرسالة لا يعبر الا عن رأي كاتبها الخاص والشخصي . ـ المجلة ـ

* * *

٢ ـ الشاعر حسين علي محمد ـ ديرب نجم : مصر العربية

من ربى الشام يا شاعر الليل احييك ، وأبارك نشاطك الادبي المندفع على اكثر من اتجاه . ولقد وصلتني هديتك « عوض قشطه دراسة في شعره » فقرأتها ليلة الوصول سعيدا باللقاء ، كلفا بجهدك الذي يدفعك الى هيكل الفن بهمة وعزيمة لا تلين ، واصدقك القول بعد القراءة ، انني أسفت لجهدك المبعثر في هذه الدراسة ، وانت تملك الفيض الشعري الذي قرأته على صفحات الثقافة والاديب ، خاصة وان مجموعتك « السقوط آخر الليل » دليل ملموس على ذلك الفيض ، وحسن الرؤيا وسعة الافق التخيلي .

ان دراستك لم تكن اكثر وفاء للرجل الذي عشق الشعر كما عشقته انت ، وتغنى به طوال حياته ، وفي هذا دليل اخلاص ، وسمة محبة تغبط عليها ، فقد افتقدت حرفة الادب هذه الايام جل هاتيك السمات والوصايا ، ومن بستان هشام على ضفة بردى حيث النسيم يداعب شعر الصبايا يا شاعري ، اتمنى لك الصحة والعافية ودوام العطاء الشعري . فما خلقت الا شاعرا .

دمشق ـ عبد الكريم دندي

أخبار ثقافية

● دليل الباحثين ●

اصدر معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب مؤخرا دليل الباحثين في تاريخ العلوم عندالعرب باللغتين العربية والانكليزية اضافة الى نبذةمن حياتهم

* * *

● موسوعة جيولوجية ●

قرر مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي والذي يتخذ من الرباط مقرا له اصدار موسوعة جيولوجية مصورة باللغتين العربية والانكليزية يشترك مختصون من جميع الدول العربية والاجنبية فياصدار هذه الموسوعة كما ينوي المكتب اصدار الموسوعة نفسها طريقة مبسطة للدراسين المبتدئين في هذا المجال

* * *

● « نظار نظاريان » الكاتب المعروف يعد بعض كتبه المترجمة عن الادب الارمني منها : « الجماهير المجنونة » شعر مترجم ليغيشه تشارنتس و « نصب لذكرى امي » شعر هوانيس شيراز .

● كلمة السر .. احبك ثم أحبك .. ديوان شعري يصدر عن دار الوحدة للطباعة والنشرفيبيروت وهو باكورة اعمال الشاعر « محمد خليفة » .

● تشرق الشمس .. ويأتي النهار : مجموعة قصصية للقاص « علي جديد » ستصدر قريبا ، وهي ثاني اعماله الادبية اذ صدر له من قبل مجموعة بعنوان « المدينة تلعن ابناءها » .

● خراب الاحلام الجميلة : مجموعة مسرحيات قصيرة ذات فصل واحد ، للكاتب الشاب غازي حسين العلي ستصدر قريبا .

● المغرِب – بضم الميم وكسر الراء – يطبع في حلب كتاب للعلامة اللغوي ابي الفتح المطرزي (٥٣٨ – ٦١٠ هـ) في جزأين . وسوف يظهر جزؤه الاول قريبا بعد أن قارب طبعه الانتهاء .

« والمغرِب » معجم لغوي نفيس بمنزلة « المصباح المنير » للفيومي بل تعداه الى شرحمزيدمن غرائب اللغة وأعلام البلدان والرجال ، وما أصابها عند الائمة من تصحيف او تحريف ، محتجا بفصيح الكلام ومأثوره من الشعر والنثر ، حتى غدا اشبه بموسوعة ثقافية موجزة متنوعة الالوان . هذا الى انه يضم موادلغوية لا تجدها في لسان العرب ولا في تاج العروس ، وهما الموسوعتان العظيمتان في لغة العرب .

وقد قام بتحقيق هذه الطبعةمنالمغرب :الاستاذان محمود فاخوري (المدرس في كلية الآداب بحلب) وعبد الحميد مختار (المدرس في ثانويات حماة) .

● « دراسات في الادب الجاهلي » : للدكتورمحمد التونجي . وهو يشمل ست دراسات أدبية : البيئة والادب – أولية الشعر وأولويته – جولة حولالمعلقات شعر الوقوف على الاطلال – امثال العرب – في الرد على طه حسين . صدر هذا الكتاب في أواخر العام المنصرم .

● « نظرية المحاكاة في النقد العربي القديم » : للدكتور عصام قصبجي . وهو دراسة تطبيقية في شعر ابي تمام وابن الرومي والمتنبي ، مهد لها المؤلف ببحث نظري تناول فيه المحاكاة عند الفلاسفةوالنقاد، ونظرية المحاكاة عند حازم القرطاجني .

● الفنان محمد جبر : سيغادرنا الى « صنعاء » عاصمة اليمن الشمالية ، حيث يلبي دعوة خاصة من الحكومة اليمنية لاقامة معرضه « للفن الضوئي » خلال الشهر القادم . كما انه سوف يصدر له قريبا كتاب بعنوان « النقد في الادب والتاريخ » .